الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

حركة ابن مسرة وتأثيرها على الحركة المذهبية في الأندلس

-(269-319هـ/883-931م) -

مذكرة مكمّلة لمتطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ القرون الوسطى

إعداد الطالبة: نجاة معيوف

الأستاذ المشرف: أ. محمد عيساوي

اللجنة المناقشة		
الإسم واللقب	الرتبة	الصفة
• أ. عبد العزيز شاكي	أستاذ مساعد – أ–	رئيسا
• أ. محمد عيساوي	أستاذ مساعد – أ–	مشرفا
• أ. مصطفى بن حسين	أستاذ مساعد – أ–	مناقشا

السّنة الجامعيّة: 1436-1437هـ/2015-2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

لو سئل القلب عن الاحبة بعد الله والرسول فانه لا يعرف الا هؤلاء.

الحمد والشكر اولا لله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ،الذي سدد خطانا وانار سبيلنا ويسر لنا اتمام هذا العمل ووفقنا في المشوار الدراسي .

والصلاة والسلام على اشرف خلق الله محمد بن عبد الله.

إلى من ربتني وقادتني الى حيث أنا الآن .

إلى من أفاضت علي بدعواتها وبركاتها .

إلى من جعلت الجنة تحت اقدامها.

إلى أمي الحبيبة- حفظها الله –

إلى من اعتز به ولا عز بدونه الى والدي العزيز.

إلى إخوتي معتز، الربيع، علي، عبد الرحمان، يوسف، عبدالقادر وأختي نعيمة.

وابنتي منار وأولاد اخوتي

إلى صديقاتي الاعزاء نادية، ايمان، سعاد، هاجر، وكل زملاء فوج رقم 03.

إلى كل من علمني حرفا أساتذتي عبر مر السنين.+-

مقدمة

مقدمة

الأندلس هو ذلك الفردوس المفقود، الذي ما يزال المسلمون يتباكون على أطلاله الذاهبة، فهو حضارة مكتملة الأركان، كان فيها الحكام والعلماء وأصحاب الفنون والشعراء وأصحاب الحرف بأصنافهم المختلفة، ظهرت فيه الاتجاهات الفكرية و المذهبية التي ظهرت بالمشرق الاسلامي، وقد تسربت الفلسفة إلى الأندلس متسترة بعباءة الاعتزال وأفكاره وبعض المذاهب الباطنية، وكانت نتيجة هذا أن ولد التصوف الذي يجمع في طيات أفكاره بعض من أفكار الاعتزال وتأثيرات باطنية متعددة مما يخفف من حدة التفلسف العقلي، وقد ظهر النشاط الصوفي في نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وكانت بداية نشأته مع محمد بن عبد الله بن مسرة توفي(319هـ/931م) و مريديه حسب الرأي الراجح لمعظم المختصين، ولكن عدم وجود آثار مكتوبة لا يعني بالضرورة، أن أرض الأندلس كانت خالية من الأولياء حتى ذلك الحين.

لا يختلف المؤرخون حول الدور الذي لعبته حركة محمَّد بن مسرة(311هـ) في التاريخ السياسي والفكري في الديار الأندلسية، وقد احتفى به عدد من المؤرخين، وعرضوا لبعض جوانب حياته، فالكتابات التي تناولته عرضًا كثيرة، وهي غالبًا تأتي في ثنايا الأبحاث والدراسات خاصة الاستشرافية منها.

يعد ابن مسرة أول شخصية محورية في تاريخ التصوف الأندلسي، امتد تأثيره في أتباعه الذين كونوا مدرسة، وكان له مريدون ولمدرسته حضور بالغ الأثر في هذا الوقت. استثار ابن مسرة – بأفكاره الوافدة على المجتمع– السلطة وأقلق مضاجعها، كما استثار الفقهاء وأهل العلم في الأندلس.

ولأهمية ابن مسرة وخطورة أمره؛ صار فكره معلمًا يُذكر في تراجم الأعلام ممن تشربها أو ردّ عليها، وقد أصبح من غير المستغرب أن تقرأ في تراجم كثير من علماء

الأندلس: أن له ردًّا على ابن مسرة، أو ألف في الرد عليه، وقد تطرق الأمر إلى أن يذكروا في بعض التراجم: أن فلانًا كان من أتباع ابن مسرة.

ومن أهم الدراسات السابقة التي تطرقت لحياة ابن مسرة دراسة الدكتور: محمَّد كمال جعفر، حيث قدم بمقدمته لكتاب الاعتبار الذي حققه لابن مسرة ضمن كتابه " في الفلسفة الاسلامية"، حيث تعد دراسته رائدة و انفردت بتحقيق مخطوط ابن مسرة؛ كما كانت هناك كتابات في ثنايا بعض المؤلفات، كذلك كتاب الدكتور محمد العدلوني الادريسي عن ابن مسرة هو "المرحلة الابتدائية في تكون التصوف الفلسفي بالمغرب الإسلامي ابن مسرة و مدرسته".

في الحقيقة لم تكن هناك أسباب معينة لاختيار الموضوع، لأنني لم أختره بل فرض علي من طرف اللجنة العلمية المختصة بالجامعة، و الحمدلله تولدت الرغبة بالتحدي من أجل انجازه على أكمل وجه بعد جمعي للمادة العلمية و الاطلاع على الموضوع و دراسته.

و لهذا رأيت أن الاشكالية الجديرة بالطرح هي:

- هل كانت حركة ابن مسرة جماعة ملحدة تهدد العقائد و الأمن أم أنها حركة فكرية صوفية فلسفية فقط؟
- وتتدرج تحتها جملة من التساؤلات التي سنجيب عنها من خلال البحث المقدم وهي:

1 من الشخصية المحورية التي ابتدأت التصوف في الأندلس؟

2 ماهي العوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته و بلورة أفكاره؟

3 ما أهم الأفكار التي كانت عليها تلك الشخصية من خلال ما ألفت ومن خلال ما كتب عنها؟

4 ما مآل العلاقة بين هذه الشخصية والسلطة والطبيعة المحافظة لفقهاء الأندلس؟

كما يهدف بحثي هذا إلى:

1 التعرف على نشأة التجربة الصوفية في الأندلس.

2 الأفكار التي صاحبت نشأة التجربة الصوفية هناك.

3 رصد لأهم جوانب العلاقة بين الفقهاء و شخصية التصوف و مريديها.

أما بالنسبة للمصادر و المراجع المعتمدة في بحثي فقد عدت إلى جملة من المصادر و المراجع و على رأسها كتاب المقتبس الجزء الخامس لابن حيان، و الذي أرخ فيه لعصر الخليفة الناصر لدين الله، و هو ينقل عنه أخبار محمد بن عبد الله بن مسرة اعتمدت عليه في ترجمة ابن مسرة و أبيه و مسيرته العلمية و تنقلاته بين الأندلس و المشرق و أهم تلاميذه المباشرين، و أيضا في رد السلطة و الفقهاء على الحركة المذهبية لابن مسرة، كما اعتمدت على كتاب أخبار الفقهاء و المحدثين للخشني محمد بن الحارث في التعريف ببعض الأعلام من المحدثين و الفقهاء في الأندلس و أيضا اعتمدت على صنف من المصادر الذي اهتم بفئة العلماء بمختلف الفروع، فرسم لنا صورة عامة عن الوضعية الثقافية و الاجتماعية بالأندلس، و ينفرد ابن الفرضي بكونه من أوائل من بدأوا التأليف في هذا النوع من الكتابة التاريخية، في كتابه "تاريخ علماء الأندلس" الذي يزخر بالكثير من زُهاء و عُبَّاد الأندلس الأوائل، و نفس الشيء ينطبق على ابن بشكوال في كتابه "الصلة" و الحميدي في كتابه الموسوم "بجذوة المقتبس"

أما أهم المراجع التي اعتمدت عليها في بحثي هذا و منها كتاب أنخيل بالنثيا من خلال كتابه تاريخ الفكر الأندلسي و أيضا كتاب الدكتور محمد العدلوني الادريسي بعنوان "المرحلة الابتدائية في تكون التصوف الفلسفي بالمغرب الإسلامي ابن مسرة و مدرسته"، الذي كان ذا أهمية كبرى بالنسبة لي في فهم حركة و مذهب ابن مسرة و الآراء التي تبناها و أفكار ابن مسرة الفلسفية و أتباع ابن مسرة، و غيره من المراجع .

كذلك الحال بالنسبة لجمال علال البختي الذي كتب هو الآخر في هذا المجال خاصة فيما يتعلق بالحركة الزهدية في القرن الأول و الثاني الهجريين، ثم أنتقل بعدها إلى الحديث

عن ابن مسرة و مدرسته في كتابه الموسوم " بالحضور الصوفي في الأندلس و المغرب إلى حدود القرن السَّابع الهجري" و غيره من المراجع الهامة ككتاب "ابن مسرة" لصاحبه كامل محمد محمد عويضة.

بناء على ما استسقيته من مادة علمية في كل ما جادت به المصادر و المراجع المختلفة قسمت بحثي هذا إلى مدخل و ثلاث فصول و خاتمة:

تحدثت في الفصل الأول عن حياة ابن مسرة الزمانية و الفكرية خصصت المبحث الأول في ترجمة لحياة ابن مسرة و حياته العلمية و مؤلفاته؛ أما المبحث الثاني فتطرقت لمذهب ابن مسرة و الآراء التي تناولها.

أما الفصل الثاني فخصصته: لأهم الروافد الفكرية التي وجهت مذهب ابن مسرة الصوفي الفلسفي و مدرسته و أثرها، تناولت في المبحث الأول الروافد الثلاث التي شكلت فكر ابن مسرة و هي الرافد الصوفي، والرافد الاعتزالي، والرافد الفلسفي (الأمباذوقلية)؛ أما المبحث الثاني فدرست فيه مدرسة ابن مسرة و أثرها حيث تطرقت إلى تلاميذ ابن مسرة المباشرين ثم أتباع ابن مسرة ، ثم أثر مذهبه في متصوفة الفلاسفة من بعده.

أما الفصل الثالث فقد خصصته لـ: موقف النخبة في الأندلس من حركة ابن مسرة وصوفيته وأثرها على العلوم الفكرية الفلسفية في الأندلس. بالنسبة للمبحث الأول تحدثت عن موقف الخلفاء الأمويين، بداية بموقف الخليفة الناصر لدين الله ، و موقف الخليفة الحكم المستنصر، ثم موقف المنصور ابن عامر. أما المبحث الثاني فكان عن علماء الأندلس في مواجهة ابن مسرة و مذهبه، رد الفقيه ابن زرب على ابن مسرة، ثم رد أهل العلم من المشارقة لأن مذهب ابن مسرة لم يبقى حبيس أرض الأندلس فقط بل انتشر في المشرق أيضا، و تحدثت أيضا عن أثر فكر ابن مسرة على حركة العلوم الفلسفية في الأندلس.

و أخيرا توجت عملي هذا بخاتمة شملت ما توصلت إليه من نتائج في بحثي، و أثريته ببعض الملاحق التي رأيت أنها تخدم موضوعي مع البيبليوغرافية و الفهارس اللازمة.

اتبعت في هذه الدراسة المنهج التاريخي وظفت فيه آلية الوصف والتحليل، في تتبع الشواهد وتحليلها لمحاولة الوقوف على طبيعة التصوف والصراع الذي نشأة بين الفقهاء ومتفلسفة الصوفية، والمنهج السردي التاريخي و ذلك من خلال تتبع المسار التاريخي لحياة ابن مسرة و الروافد الفكرية المذهبية و الفلسفية التي تأثر و أثر بها على حركة العلوم الفلسفية في الأندلس، والاستنتاج حيث دعمت كل فصل باستنتاج في نهايته كخلاصة لما جاء بمتنه من معلومات بعد تحليلها.

من الصعوبات التي واجهتني قلة المادة العلمية التي تخدم بحثي و أيضا الغموض الذي يخص الشخصية المحورية لدراستي، و الصعوبة في فهمها نظرا لطبيعة الموضوع أي التصوف الفلسفي، أيضا أن جل المراجع التي تخدم موضوعي باللغة الاسبانية و عدم تمكني من ترجمتها.

وختاما أتقدم بالشكر لكل من كان له يد في مساعدتي لإنجاز عملي هذا وأخص بالذكر الأستاذ المشرف الذي كان لي العون و الموجه في كل أطوار العمل، و الدكتور بونابي الطاهر الذي قدم لي كتب تخدم موضوع الدراسة و تعد أساسية، أيضا أتقدم بالشكر للأصدقاء في العالم الافتراضي الذين ساعدوني أيضا في توفير بعض الكتب التي واجهت صعوبة في الحصول عليها هنا. في كل من الجزائر و مصر و الأردن و دون أن أنسى زميلاتي و زملائي في الجامعة على دعمهم المعنوي لي من أجل إنجاز العمل على أكمل وجه.

مدخل

فترة ما قبل ابن مسرة خلال القرن الثاني والثالث الهجريين

منذ أن اهتمت الأندلس بالحضارة والثقافة المشرقية كان من الطبيعي أن يتسرب إليها بعض المذاهب الكلامية والعقلية التي ظهرت في المشرق، والرحلات الكثيرة التي قام بها الأندلسيون إلى العراق جعلت من غير الممكن تجنب هذا التسرب، وقد تسلل بالفعل مذهب المعتزلة إلى قرطبة، وقد عد المستشرق الإسباني أثين بلاثيوس في دراسته عن ابن مسرة ومدرسته أن فرج بن سلام من أول من أدخلوا تعاليم المعتزلة إلى الأندلس بحكم جهوده في إدخال كتب الجاحظ ونشرها في هذه البلاد[1]. مع العلم أن فرج بن سلام لم ينسب إليه انتماء إلى المعتزلة.

وقد حاول بعض أتباع المعتزلة من البغداديين أن يستقروا في قرطبة، ولدينا لذلك مثل وهو أبي الطيب محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أبي بردة الشافعي البغدادي، وصل إلى الأندلس سنة(361هـ/971م)، وأحسن الحكم الثاني (المستنصر) استقباله كواحد من كبار علماء الشافعية على أيامه، ولكن ما إن علم أنه من المعتزلة حتى أصدر قرارا بإبعاده، وذلك في رجب سنة(373هـ/983م)، وليس هناك معلومات توضح الإجابة عن سؤالنا: هل استطاع ابن أبي بردة البغدادي خلال الاثني عشرة سنة التي قضاها في قرطبة أن يبث آراءه الاعتزالية أم لا؟

وإلى هنا يمكن القول: إن مذهب المعتزلة الذي تسرب إلى قرطبة لم يأخذ طريقه مباشرة إلى عامة الناس، وإنما ظل تأثيره محدودا ومقصورا على عدد قليل من المثقفين، ويرجع السبب في ذلك إلى تعصب جمهور الأندلسيين للمذهب المالكي جعلهم ينظرون إلى غيره

[1]– طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عُبيدة، الحضارة الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2004م، ج2، ص 614،615.

من المذاهب الفقهية والكلامية نظرة تشدد كما يستدل على ذلك من قول المقدسي عن أهل الأندلس:" وهم يقولون لا نعرف إلا كتاب الله وموطأ مالك، فإن ظهروا على شافعي أو حنفي نفوه، وإن عثروا على معتزلي أو شيعي ربما قتلوه"[1].

نجد أن جراء كل هذا تسربت الفلسفة متسترة بعباءة الاعتزال وأفكاره وبعض المذاهب الباطنية[2]، وقد ظهر التصوف في الأندلس وكان يعتمد على طرق بعيدة على أي مغالاة وتعمق فلسفي ولكن خلال القرن الثالث هجري عرف الاتجاه الصوفي الأندلسي بعض التحول بفعل احتكاك الأندلسيين بالمدارس المشرقية واطلاعهم على آراء مشاهير متصوفة تلك البلاد.

وللأندلس أن تفخر بأميرها الحكم الأول (180هـ-206هـ) الذي كان يبدي اهتماما واسعًا بالعلم والعلماء، وما يظهر من مؤلفات في المشرق العربي الاسلامي حتى قبل أن يتولى حكم الأندلس، إذ أوفد عالما من قرطبة يدعى: عباس بن ناصح إلى العراق، وقد أمره باختيار الآثار العلمية المنقولة الى اللغة العربية من اليونانية والرومانية ومن ثم استنساخها له[3]، وقد استطاع هذا الأمير أن يحصل من بغداد ومصر وغيرهما من ديار المشرق على عيون التأليف والمصنفات الغريبة في العلوم القديمة وجمع منها ما كان يضاهي خلفاء بني العباس، وكان لهذا الأمير وراقون بأقطار البلاد المختلفة وظيفتهم انتخاب غرائب الكتب...

[1]- المقدسي البشاري أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن أبي بكر، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ/1991م، ص 236.

[2]- بالنثيا أنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د، ت)، ص 225،226.

[3]- ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة: طاهر مكي، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1399هـ/1979م، ص 45.

ومن ورَّاقيه في مدينة بغداد عمر بن طرفان وقد عرف عن أحد وراقيه أنه سكن البصرة عشرون سنة لهذا الغرض[1].

وللأمير الحكم الأول علاقات علمية بكبار مؤلفي المشرق العربي الاسلامي ومفكريه، فعلاقته بأبي الفرج الأصفهاني صاحب كتاب "الأغاني" أتاحت له أن يحصل على هذا المؤلف الممتع قبل أن يعرفه أهل العراق أو ينسخه أحد منهم، وقد أهدى الحكم للأصفهاني مبلغ ألف دينار عينًا ذهبًا[2]، وعرف أهل الأندلس كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي الذي أصبح فيما بعد موضوعا للدراسة والتعليق، وألف أحد مفكريهم (الزبيدي) كتابين أحدهما "زيادة كتاب العين" والثاني "غلط صاحب العين"[3]، ومن الكتب المشهورة التي دخلت الأندلس في هذه الحقبة كتاب "العروض" للخليل بن أحمد الفراهيدي، وقد قدمه تاجر مشرقي هدية إلى الأمير عبد الرحمان الثاني (206-238هـ) وبدى هذا الكتاب عسير الفهم عند أهل الأندلس أول الأمر، إلى أن اطلع عليه عباس بن فرناس فقام بشرحه.

ولقد أدت الأحوال السيئة التي سادت المشرق العربي الإسلامي من جراء تسلط القادة الأتراك على شؤون الحكم، وهم الذين لم يكونوا يبدون أي اهتمام بالعلم والعلماء، ولا يقيمون وزنا للثقافة إلى حركة انتقال عظيمة من الكتب، فضلا عن انتقال العلماء أنفسهم من المشرق إلى الأندلس، وكان هؤلاء العلماء يلاقون الترحاب والاهتمام والرعاية التامة من لدن حكام الأندلس الذين كان سخاؤهم يثير الاعجاب، ولعل أشهر هؤلاء العلماء أبو علي القالي العربي الأصل العراقي المولد ذلك الأديب الذي لا مثيل له، وقد حصل على الترحيب

[1]- صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، نشره و ذيله: الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1913م، ص 86، 87.

[2]- ابن الآبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، الحلة السِّيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ج1، ص 201.

[3]- القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: سيد أحمد أعراب، ط2، مطابع الشويخ، المغرب، 1402هـ/1982م، ج7، ص 39.

والتقدير إذ أصبح ذكره على كل لسان في هذه الديار[1]، وقد رافق القالي إلى قرطبة ابن الرماحس حاكم المرية واستقبل عند نزوله الأندلس استقبال الرجال العظام، ولقد ابدى القالي اعجابه الشديد بذكاء أهل الأندلس، وكثرة ما يحفظونه وسرعة خاطرهم، فقد كان لكثير من أمراء الأندلس الأمويين الفضل العظيم في تنشيط الحركة الفكرية، ويأتي في مقدمة هؤلاء الحكم الأول، والحكم المستنصر.

وظل يتوافد العلماء على قرطبة دون انقطاع وكانوا يجدون سوقا رائجة لبضاعتهم[2]، وقد انتشر المذهب المالكي على يد علماء الأندلس الذين رحلوا إلى المشرق العربي الاسلامي وفي مقدمتهم زياد بن عبد الرحمن وعيسى بن دينار وسعيد بن أبي هند يحي بن يحي الليثي، وقد التقى هؤلاء بالإمام مالك في المدينة وأخذوا عنه أصول المذهب المالكي، ونقلوا عنه كتاب "الموطأ"[3]، وأصبح المذهب المالكي المذهب الرسمي للدولة، بعد أن كانت على المذهب الأوزاعي.

وإذا كان بنو العباس يفخرون بالخليفة المأمون (198-218هـ) في علمه وتشجيعه للعلماء، فإن أهل الأندلس حق عليهم أن يفخروا بأميرهم عبد الرحمن الثاني (206-238هـ) الذي وصف بأنه كان عالما بالشريعة والفلسفة، وكان ابنه محمد بن عبد الرحمن لا يقل عنه اهتماما بهذه الأمور[4]، وسجل الوضع في الأندلس نقطة الذروة السياسية في القرن الرابع الهجري، واقترن هذا القرن باسم خليفة كبير هو عبد الرحمن الناصر (300-350هـ) فقد قابل حكمه الطويل ازدهار رائع في جميع مظاهر الفكر والتقدم العلمي[5].

---

[1]- بالنثيا، تاريخ المرجع السابق، ص 10.

[2]- المقري أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408 هـ/1918م ،ج3، ص 70.

[3]- ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ- 1989م، ج2، ص 132.

[4]- مجهول، أخبار مجموعة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1410هـ/1989م، ص 120.

[5]- بروفنسال، المرجع السابق، ص 17.

منذ أن اهتمت الأندلس بالحضارة والثقافة المشرقية كان من الطبيعي أن يتسرب إليها بعض المذاهب الكلامية والعقلية التي ظهرت في المشرق، والرحلات الكثيرة التي قام بها

الأندلسيون إلى العراق جعلت من غير الممكن تجنب هذا التسرب، وقد تسلل بالفعل

مذهب المعتزلة إلى قرطبة، وقد عد المستشرق الإسباني أثين بلاثيوس في دراسته عن ابن مسرة ومدرسته أن فرج بن سلام من أول من أدخلوا تعاليم المعتزلة إلى الأندلس بحكم جهوده في إدخال كتب الجاحظ ونشرها في هذه البلاد[1]. مع العلم أن فرج بن سلام لم ينسب إليه انتماء إلى المعتزلة.

ومما تميز به التصوف الأندلسي في القرن الثالث هجري ارهاصات تأسيس المدرسة الصوفية الأندلسية وانتشار (الرباطات الصغيرة) التي كان يجتمع فيها بعض الأفراد من النساك من أجل التأمل والمرابطة مقلدين متصوفة افريقيا الذين شاع عندهم بناء المتعبدات المنعزلة بمدينتي (سوسة والمنستير) وغيرهما، وهكذا عمل بعض الأندلسيين على نقل هذه التقاليد الأفريقية إلى بلادهم فقاموا بإنشاء الأربطة وانتهجوا فيها ما نهجه الأفريقيون من العبادة والتأمل والجهاد[2].

و أهم ميزة تميز بها القرن الثالث الهجري ظهور المصنفات الزهدية الأندلسية للتعريف برجالات هذا الاتجاه، فقد ألف بن وضاح[3] كتاب " العباد والعوابد"، كما ألف يمن

[1]– طه عبد المقصود، المرجع السابق، ج2، ص 614، 615.

[2] البختي جمال علال، الحضور الصوفي في الأندلس و المغرب إلى حدود القرن السابع الهجري، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1426ه/2005م، ص 10،11.

[3]– محمد بن وضاح، كنيته أبو عبد الله قرطبي، رحل إلى المشرق رحلتين كان إماما عالما بالحديث(ت286ه)؛ ينظر: ابن فرحون إبراهيم بن نورالدين ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417ه/1996م، ص 338، 339.

بن رزق[1] كتابا بعنوان " الزهد"، هوجم بشدة من قبل العلماء الأندلسيين والقيروانيين الذين رأوا في كتابه شخصا ذا وساوس وأوهام[2]، كما أصبح أهل الأندلس ينظرون بعين التقديس إلى الكثير من الزهاد والعباد، نظرا لكونهم كانوا مستجابي الدعوة، حيث صار يطلق عليهم اسم الأولياء[3].

نتيجة لهذا بدأ التصوف يقترب أكثر من الفلسفة؛ إذ شهد أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجريين تطورًا جديدًا يجمع ما بين التأمل العقلي والوجداني، وبدأت معالم المدرسة الصوفية الجديدة تتشكل من خلال مظهرين: الأول انعكس في اتحاد الصوفية واجتماعهم في أماكن خاصة منعزلة للعبادة والتأمل. أما المظهر الثاني فقد تمثل في بدء اصطدامهم مع الفقهاء السلفيين هناك، الذين حاولوا الحفاظ على نقاء الدين حتى لا تختلط العقيدة الاسلامية بالآراء والمعتقدات الشرقية أو الوثنية.[4]

من خلال ما سبق يتضح لنا أن واقع الحياة الفكرية في قرطبة من هذه الزاوية قبل فترة ابن مسرة، كان فيها الفقهاء المالكية الحريصون على الاتجاه السني المحافظ يواجهون مذهب الاعتزال باستنكار شديد، وكل من يكشف أمره أنه يدعوا إلى هذا المذهب يتم إبعاده من قبل أولي الأمر بواسطة تأثير الفقهاء وتدخلهم، كما حدث مع ابن بردة البغدادي.

لكن على الرغم من المواقف المتشددة التي أبداها الفقهاء يدعمهم رجال السلطة تجاه التصوف وأهله إلا أن القرن الرابع الهجري شهد انطلاقة قوية للاتجاه الصوفي بالأندلس سواء بلونه الشرعي أو السني المعتدل أو من خلال اتجاهه الجديد الذي سيكون محمد بن

[1]– يمن بن رزق، من أهل تَطِيلَة، يُكنى أبا بكر، أصله من الثغر من قرية تجاور تَطِيلَة؛ ينظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 198.

[2]– فاطمة الزهراء جدو، السلطة و المتصوفة في الأندلس عهد المرابطين و الموحدين، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، 1428–1429هـ/2007–2008م، ص 17.

[3]– جمال علال البختي، المرجع السابق ، ص 11.

[4]– نفسه، ص 10،11.

عبد الله بن مسرة الجبلي رائده الأكبر وهو كما يروي عنه ابن الفرضي: "من أهل قرطبة ويكنى أبا عبد الله، ولد في (269هـ/883م، وتوفي عام 319هـ/931م) وهو ابن خمسين سنة[1] وذلك بالمرية أكبر مركز للتصوف بالأندلس والتي نهجت في تصوفها نهج متصوفة المشرق، وقد استقيت عقيدتها الفلسفية من محمد بن مسرة الذي كان تصوفه مزيجا من تعاليم المعتزلة والاتجاهات العرفانية الإسلامية وأفكار أمباذوقليس.[2]

[1]– ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 39، 40.

[2]– هو الفيلسوف اليوناني أمباذوقليس الأكراجاسي، ولد حوالي 492 ق.م، في أغرينتا الصقلية، كان من انبغ زمانه، هو أول الحكماء الخمسة المعروفين بأساطير الحكمة وأقدمهم زمانا، كان فيلسوفا وشاعرا وسياسيا وطبيبا، توفي سنة 430 ق.م، وقيل أنه أيضا كان في زمن داود عليه السلام؛ ينظر: الشهرستاني محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أبو الفتح، الملل والنحل، تعليق: أحمد فهمي محمد، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1992م، ص 379.

الفصل الأول:

الحياة الزمنية والفكرية لابن مسرة وظهور مذهبه الصوفي والآراء الكلامية الأولى التي تأثر بها

أولا: حياة ابن مسرّة الزمانية والفكرية

ثانيا: ظهور مذهب ابن مسرة والآراء الكلامية الأولى التي تأثر بها

أولا: حياة ابن مسرّة الزمانية والفكرية:

1/ حياته الزمانية:

محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح بن مرزوق القرطبي، يكنى أبا عبد الله[1]، أما تاريخ ولادته فوجده ابن حيان مكتوبا بخط والده عبد الله في ليلة الثلاثاء في السابع من شوال سنة (269هـ/883م)، على عهد الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن (238-273هـ) وكانت وفاة محمد ابن مسرة في دويرته في صدر شهر شوال سنة (319هـ/931م)، وله من العمر ما يقارب خمسين عامًا[2].

كان والده عبد الله مولى لرجل من البربر من أهل فاس، ويوصف بأنه كان من أهل البيع والشراء، أي أنه كان تاجرًا، وعرف بميله إلى آراء المعتزلة[3]، وتبنيها[4]. رحل عبد الله مع أخيه إبراهيم بن مسرّة إلى بلاد المشرق للتجارة، ووصل إلى البصرة، وعمل هناك على طلب العلم بصحبة محمد بن عبد السلام الخشني[5]، وسمع من نصر بن علي الجهضمي[6]

---

[1]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص 687.

[2]- ابن حيان أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي، المقتبس، تحقيق: شالميتا، د. ط، مدريد، 1433هـ/ 1979م، ج5، ص 33.

[3]- مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، د. ط، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1411 هـ/ 1991م، ص 393-397.

[4]- بالنثيا، المرجع السابق، ص 336.

[5]- محمد بن عبد السلام الخشني، هو أبو عبدالله محمد بن عبد السلام بن ثعلبة بن زيد بن الحسن بن كلب بن أبي ثعلبة الأشرس بن جرهم الخشني صاحب رسول الله -صل الله عليه وسلم، وهو من أهل قرطبة، ولد سنة(221هـ/835م)، كان دينا تقيا ثلة في الرواية و زاهداً في الدنيا، رحل سنة(240هـ/854م) من الأندلس للحج وقصد البصرة، وغيرها من بلاد المشرق، توفي سنة (286هـ/899م)؛ ينظر: الخشني محمد بن حارث بن أسد، أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق: ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا، د. ط، المجلس الاعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1991م، ص 132-137.

[6]- نصر بن علي بن نصر بن علي أبو عمرو الجهضمي البصري، الحافظ الولي العالم الصالح، روى القراءة عرضا عن أبيه وسماعًا من غيره، وروى القراءة عنه الحسن بن العباس الرازي والإمام البخاري ومسلم؛ ينظر: الجزري شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد، غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره: ج. برجستراسر، مكتبة الخانجي، ط1، 1352هـ/1933م، ج2، ص 337.

وغيره من أهل البصرة[1]، وبقي يتردد في البصرة على الخشني.

وعندما عاد إلى الأندلس اتهم بالقدر[2]، لأنه كان صديقا لأحد رجال القدرية وهو خليل العذري[3]، وأجبر على الرحيل إلى بلاد المشرق مرة أخرى وهو في آخر عمره، وانتهى به الترحال إلى الاستقرار في مكة والإقامة بها، وكان يتمتع بجاه عريض ومكانة علمية مرموقة إلى أن توفاه الله سنة (286هـ/899م)، وصحبه في رحلته هذه ابنه محمد، الذي ورث عن أبيه مقتنياته العلمية وكتبه، وكان عمره آنذاك لم يتجاوز السبع سنوات[4].

2/ حياته العلمية:

اتخذ محمد بن مسرّة مذهب الاعتزال الذي أخذه عن والده، وكان من العلماء الاجلاء، وله مكانة كبيرة ومرموقة في العلم، سمع أثناء رحلته في المشرق على كل من الخشني وابن وضاح[5]، وبقي في المشرق مدة بعد وفاة والده، واشتغل بملاقات المتكلمين وأصحاب المقالات وأهل الجدل من المعتزلة وغيرهم، وعرف أقوالهم، وعندما عاد إلى الأندلس أظهر ما عنده من مناسك الورع والاعتزال التي أخذها عن أهل المشرق، فاغتر الناس به وأعجبوا بما أظهره لهم، وأخذوا يترددون عليه ويسمعون منه، إلى أن ظهر لهم سوء

---

[1]– ابن حيان، المصدر السابق، ص 35–36.

[2]– القدرية، نسبة إلى القدر، والقدر في اللغة، القضاء والحكم، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور، وقد عرف القائلون بحرية الإرادة والاختيار باسم (القدرية) من قبيل الاشتقاق من الضد، فهم سموا قدرية لأنهم أنكروا القدر الإلهي، بمعنى أثبتوا للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى، ويرى بعض المستشرقين أن القدرية عرفوا بهذا الاسم لأنهم اتخذوا من القدر بالذات موضوعا لبحثهم ودراستهم؛ ينظر: محمد أحمد الخطيب، الفرق الإسلامية، ط1، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، 1996 م، ص 69.

[3]– هو خليل بن عبدالملك بن كليب المعروف بخليل الغفلة؛ ابن حيان، المصدر السابق، ص 33.

[4]– نفسه، ص 36.

[5]– محمد بن وضاح بن بزيغ مولى الإمام عبد الرحمن بن معاوية، من أهل قرطبة، سمع من فقهاء الأندلس، ثم رحل إلى المشرق سنة (220هـ/835م)، وكان شأنه العبادة والزهد، وأدخل إلى الأندلس علما عظيما وسمع منه كثير من أهلها، توفي سنة (287هـ/900م)؛ ينظر: الخشني، المصدر السابق، ص 122– 132.

معتقداته وعدم صحة مذهبه، فابتعد كثير من الناس عنه، وبقي من تمادى في صحبته ممن غلب عليهم الجهل والتحير[1]، بسبب عذوبة أسلوبه في الكلام، وقوة إقناعه أثناء الحديث معه ومتانته في طرح الحجج وقدرته على الغوص إلى دقيق معاني الكلمات والتفنن في شتى ضروب المعرفة والعلوم. الأمر الذي أدى إلى أسر الكثير من قلوب الناس واستمالتها إليه.

وأخذ يعمل على نشر مذهبه بين الناس في صدر دولة الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله الأموي (300/350هـ)، بفضل ما كان يظهره ابن مسرّة من الزهد والورع، وإتباعه لمذهب أهل السنة والجماعة، وتأليف الكتب البارعة وبث الرسائل القارعة، وتصنيف المقالات الناقبة، التي كانت تقوم على سدل مغمضاتها وستر المغالطات فيها[2]؛ حتى لا يفهم الناس معانيها إلا عن طريقه، واتبعه أغلب من كان يتردد عليه، وعملوا بعد وفاته على نشر تعاليمه ومذهبه. عاش بن مسرّة حياته في معتزل له بجبل قرطبة، ومن مكان اعتزاله أخذت الأخبار والأراجيف تنتشر حول طبيعة تعاليمه عن مذهب الاعتزال وغيره[3]. وذكر محمد بن حزم بن بكر التنوخي[4]، الذي صحبه ابن مسرّة ورافقه في طريقه إلى الحج ولازمه بعد عودته من أداء المناسك، أنه كان من أهل الورع والانقباض، وفي أثناء إقامته في المدينة المنورة كان يتتبع آثار النبي– صل الله عليه وسلم –، وتمكن بمساعدة بعض أهل المدينة من الاستدلال على موقع دار مارية القبطية أم إبراهيم سرية النبي– صل الله عليه وسلم – شرقي المدينة المنورة، ذهب إليها وصلى في كل ناحية من نواحيها، وبعد انتهائه من الصلاة قام بضرب أحد جهات بيتها بيده[5].

---

[1]– ابن حيان، المصدر السابق، ص 38.

[2]– نفسه، ص 20، 21.

[3]– بالنثيا، المرجع السابق، ص 327.

[4]– محمد بن حزم بن بكر التنوخي، من أهل طليطلة وسكن قرطبة، وعرف بابن المديني، وسمع من أحمد بن خالد وغيره، وصحب محمد بن مسرة قديماً، و اختص بمرافقته في طريق الحج؛ ينظر: المقري، المصدر السابق، ج2، ص 150،151.

[5]– نفسه، ج3، ص 150، 151.

وأضاف ابن حيان في كتابه المقتبس أن ابن مسرّة كان كثير العلم بالأخبار، واسع الرواية للآثار متعمقا في المعرفة وفيلسوفًا عالمًا طبيبًا، ومنجمًا فلكيًا، وأديبًا بارعًا شاعرًا، وخطيبًا مصقعًا منسوبًا إلى المعرفة بحذق اللسان والفصاحة بالعربية والحفظ للغة[1]؛ لذلك كانت له مكانة علمية عالية في قرطبة لا تقل عن مكانة أحمد بن خالد الحباب[2]، الفقيه المالكي القوي النفوذ والذي اتهم ابن مسرة بأنه يشيع بين تلامذته سرًا آراء المعتزلة في القدر[3]. خاف ابن مسرّة على نفسه بعد كتابة الفقيه المشهور أحمد بن خالد – المعروف بالحباب – صحيفة اتهمه فيها في رأيه وعقيدته، فاضطر إلى الهرب وزعم أنه خارج للحج ورافقه اثنان من تلاميذه؛ هما: محمد بن حزم بن بكر التنوخي، وابن صيقل محمد بن وهب القرطبي. وفي طريقه نزل ابن مسرّة في القيروان، ثم تابع مسيره الى مكة، وفيها سمع من أبي سعيد بن الأعرابي[4]، الذي كان يروي الحديث على مذهب أهل السنة، وكان يتكلم عن الباطنية، ويعلم دقائق أسرار الصوفية، وآراءهم الاستشرافية، وكتب رسالة في الرد على ابن مسرّة وآرائه[5].

وعندما زار مكة والمدينة ثم مصر، اتصل بأقطاب الحركة الصوفية: "فلقي هناك من درسه مذهبه (في التصوف) فقوي فيه متنه وانبسط باعه فيه"، حيث تعرف على بعض رواد

---

[1]– ابن حيان، المصدر السابق، ص 31.

[2]– أحمد بن خالد بن يزيد الحباب، يكنى أبا عمر، ولد سنة (246هـ/860م)، كان من رواة أهل الحديث وجماعة الكتب، حافظا لرأي الإمام مالك، وكان من أهل الدين والعبادة الباطنة والخير المشهود، وكان أمير المؤمنين عبد الرحمن الثالث يكرمه لفضله ويعظمه لعلمه، (ت322هـ/933م)؛ ينظر: الخشني، المصدر السابق، ص17–19.

[3]– محمد العدلوني الإدريسي، المرحلة الابتدائية في تكوُّن التصوف الفلسفي بالغرب الإسلامي "ابن مسرّة ومدرسته"، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1421هـ/2000م، ص 49.

[4]– أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم بن الأعرابي، مؤرخ من علماء الحديث، من أهل البصرة، تصوف وصحب الجنيد، وانتقل إلى الحجاز فكان شيخ الحرم المكي وتوفي بمكة سنة(340هـ)؛ ينظر: ابن نقطة أبي بكر محمد بن عبد الغني ، كتاب التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1403هـ/1983م، ج1، ص 189، 190.

[5]– بالنثيا، المرجع السابق، ص 327.

التصوف السني مثل "سعيد بن الأعرابي"(ت341هـ) و"أحمد بن سالم التستري"، لكنهما لم يَرضيا عن آرائه. كما تعرف على التصوف الباطني مع تلامذة "ذي النون المصري" (ت245هـ) خصوصا منهم: "ابي يعقوب النهرجوري"(ت330هـ)[1].

ومن صفاته إتباعه طريقة الزهد في العبادة التي سبق فيها، وانْتَسَقَ في سِلْكِ مُحْتَذيها وكانت له إشارات غامضة، وعبارات عن منازل الملحدين غير داحضة، ووجدت له ردية واستنباطات مَرْديه[2].

3/ مؤلفاته:

كان لابن مسرّة الكثير من المؤلفات حسب ما ذكر بعض المؤرخين، وسرعان ما انتشرت هذه المؤلفات وانتقلت إلى خارج قرطبة ووصلت إلى المشرق، وعمل عدد من علماء الجماعة المتمسكين بالمأثور على إنكارها، ولابن مسرة من المصنفات أربعة حسب ما أورده المترجمون لحياته، وبالرغم مما ذكره ابن خاقان في كتابه المطمح أن مؤلفات ابن مسرّة ضاعت، أو أحرقت[3]، إلا أن بعض المؤرخين عملوا في المحافظة على بعضها وايصالها إلينا ووصل إلينا اثنان من كتب ابن مسرّة، وهما كتاب التبصرة، وكتاب الحروف[4]، ولم يعثر على كتاب توحيد الموقنين والذي تحدث فيه عن الصفات الإلهية وعلاقتها بالذات[5].

أ/ كتاب التبصرة (رسالة الاعتبار):

ويتحدث فيه عن الوحي والعقل، وكيف يمكن من خلالها الوصول إلى المعرفة الإلهية،

---

[1]– محمد العدلوني الإدريسي، المرجع السابق، ص 48.

[2]– ابن خاقان أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي الإشبيلي، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، ط1، دار الرسالة، بيروت، 1403هـ/1983م، ج8، ص 286–287.

[3]– نفسه، ص 287.

[4]– بالنثيا، المرجع السابق، ص 329.

[5]– كامل محمد محمد عويضة، ابن مسرة، دار الكتاب العلمية، ط1، بيروت، 1411هـ/1993م، ص 23.

ورغم أن الطريقين متباينين إلا أنهما يلتقيان من أجل إثبات الحقيقة الوجودية المطلقة[1]، ويدعوا فيه إلى ضرورة تأييد التدبر والاعتبار لما جاء به الرسول – صل الله عليه وسلم – وتحتوي هذه الرسالة الكثير من المصطلحات الفلسفية والعلمية الخاصة بالطبائع الأربع والأفلاك والتقوى والترابط بين الحيوان والنبات، وتأتي أهمية هذه الرسالة من أنها تعد إحدى المحاولات المبكرة عند العرب للتوفيق بين العقل والوحي، وتقدم مادتها فرصة أفضل للتعرف على طبيعة تطور الفلسفة الإسلامية بشكل عام وفي الأندلس خاصة[2]، وظهر ابن مسرّة في هذه الرسالة مفكرا فقيها، أي أنه اتخذ صفة الفقيه[3].

ب/ كتاب الحروف (رسالة خواص الحروف وحقائقها وأصولها):

وهي تعالج أسرار الحروف التي تبدأ بها بعض سور القرآن الكريم، وهو موضوع ديني، ويتبين أنه عالم ديني عارف ومحقق، عمل على التحقيق في أصول هذه الحروف إلى أن وصل إلى حقيقة أمرها، ووصف في هذه الرسالة بأنه العارف المحقق في أمور الدين[4] وتضمن الاعتبار، أي أخذ العبرة من مخلوقات الله و النظر والاستدلال و الترحيب والتدقيق والتدبر والاعتبار بوحدة الله سبحانه وتعالى ووحدانيته، وعن علم الربوبية وكيفية فهم أسماء الله الحسنى وعلى لطائف القرآن ودقيق معانيه، ومعاني الأسماء الحسنى، ويتحدث فيه عن الأمور التي اختلف العلماء في تأويلها[5].(ينظر الملحق رقم: 02، 03، 05، 06)

ومنزلة كل رسالة من الأخرى هي منزلة المجمل من المفصل، فرسالة "الاعتبار" تمثل المجمل، ورسالة "خواص الحروف" تمثل المفصل. الأولى طريق العقل والتأمل الوجداني يتم من خلالها الصعود والتدرج من الموجودات الطبيعية إلى الماورائيات إلى الذات المطلقة.

---

[1]– محمد العدلوني الإدريسي، المرجع السابق، ص53.

[2]– كامل محمد عويضة، المرجع السابق، ص 39، 40، 41، 42.

[3]– نفسه، ص 38.

[4]– محمد العدلوني الإدريسي، المرجع السابق، ص 52.

[5]– كامل محمد عويضة، المرجع السابق، ص 43، 44، 46، 47، 48.

والثانيـة طريـق الـوحي الربـاني يـتم مـن خلالهـا النـزول مـن الماورائيـات إلـى الموجـودات الطبيعية[1].

جـ/ شعر ابن مسرة:

وعرف عن ابن مسرة أنه كتب الشعر إلى أبي بكر اللؤلؤي[2]، يدعوه لزيارته في يوم مطر وطين، وعمل في هذا الكتاب على تشبيه ظاهرة حسية بمبدأ نفسي عنده، فقال:

أقبل فإن اليوم يوم دجن إلى مكان كالضمير المكني
لعلنا نحكم أدنى فـن فأنت عند الطين أمسى مني

فهو بهذه الأبيات الشعرية يميل حتى في مداعباته إلى لون التجريد والتجسيد[3] في الصورة التي يراها هو مناسبة لا كما هي، ووردت له أبيات من الشعر في كتاب التشبيهات للكتاني، أشار فيها إلى أحوال الشرك والمشركين، وهي:

كأنهم دانــوا بأنك ربــهم فخَّرُوا جميعا حين أطلت سجدا
كأن رقاب المشركين قصائد تكون لها علياك في الحرب منشدا
كأن الدم المهراق أسكر نصله فصال على حزب الضلال معربدا
كأن رؤوس الشرك طير سواكن غدوت لهـــا بالمشـــرفي مشردا

وورد له شعر عند الحديث في ذم الدنيا وذكر الموت:

إنما الموت غاية نحن نسعى خببــا نحوهــا على الأقدام
إنما الليل والنهار مطايــا لبني الموت نحو دار حمام[4]

---

[1]– محمد العدلوني الإدريسي، المرجع السابق، 53، 54.

[2]– أبو بكر اللؤلؤي أحمد بن عبد الله، روى عن أبي صالح بن أيوب بن سليمان ومحمد بن عمر بن لبابة، توفي سنة(348هـ/959م)؛ ينظر: الحميدي أبي عبد الله محمد بن نصر، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، د. ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د. ت، ج1، ص 202.

[3]– نفسه، ص 110.

[4]– الكتاني أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الحسين المذحجي القرطبي، كتاب التشبيهات من أشعار الأندلس، تحقيق: إحسان عباس، ط2، دار الشروق، 1401هـ/1981م، ص 211.

ثانيا: ظهور مذهب ابن مسرة والآراء الكلامية الأولى التي تأثر بها:

1/ ظهور مذهب ابن مسرة:

كانت الظروف السياسية و الاجتماعية العامة السائدة في الأندلس في الفترة التي عاش فيها ابن مسرة مضطربة و غير مستقرة، خاصة في عهد الأمير عبد الله بن محمد (275-300هـ/888-912م)، الذي لم يعترف بسلطته أحد من العرب و البربر، و اتخذ كل واحد منهما رئيسا له و استقل في ناحيته عن الأمير، بالإضافة لما قام به عمر بن حفصون[1]، و من انضم إليه من المولدين[2]، مما ساعد ابن مسرة على نشر تعاليمه و أفكاره، و كذلك رأى الأمير عبد الله أن يترك ابن مسرة و أتباعه خوفا مما قد يؤدي تعقبهم إلى فتنة جديدة، فكانت الحكمة تقتضي تلافي ما كان يقوم به ابن مسرة لكثرة الفتن التي كانت تجتاح بلاد الأندلس كلها[3].

شهد عهد الأمير عبد الله بن محمد بداية ظهور ونشر آراء ابن مسرّة التي تشكلت لديه أثناء ارتحاله مع أبيه وصحبته إياه من الأندلس إلى المشرق، حيث التقى هناك بأهل الجدل وأصحاب الكلام، مثل: الخشني وخليل الغفلة وابن وضاح، وتعلم ابن مسرّة علوم الدين في البداية على يد أبيه على طريقة المعتزلة، وما كانت تنطوي عليه من عناصر فلسفية[4]،

---

[1]- عمر بن حفصون، من مسالمة أهل الذمة، أصله من كورة رية، ثار على الأمير محمد سنة (267هـ/880م)، و بقي ثائرًا حتى توفي في بداية عهد الخليفة الناصر سنة (305هـ/917م)، ولاية العهد و الصراع على السلطة في عهد الإمارة في الأندلس (138-300هـ/755-912م)؛ ينظر: يوسف بني ياسين، مجلة جامعة مؤتة للبحوث و الدراسات، مجلد 21، عدد6، 1427هـ/2006م، ص 38.

[2]- المولدون، و يقصد بهم العنصر أو الجيل الذي ولد من آباء مسلمين سواءً كانوا عربًا أو بربرًا من أمهات من أصل أسباني، و نشأوا على الإسلام؛ ينظر: حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422هـ/755-1030م)، ط1، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، 1414هـ/1994م، ص 41.

[3]- بالنثيا، المرجع السابق، ص 327.

[4]- كامل محمد عويضة، المرجع السابق، ص 21.

وسمع من محمد بن وضاح والخشني، واتهم بالزندقة[1]، فهرب إلى المشرق وعاد في بداية عهد الأمير عبد الرحمن الثالث إلى الأندلس[2].

ويبدو أن ابن مسرّة أثناء رحلته الطويلة إلى المشرق استطاع أن يطلع على ما كان عند أهل المشرق من أفكار متعددة ومختلفة في أمور الدين والدنيا، وبعد اقتناعه بها أخذ يعمل على نشرها في قرطبة في عهد الأمير عبد الرحمن الثالث في فترة الإمارة (300-316هـ/912-929م)، لأنه كان يتميز بشيء من الحرية المدنية والدينية[3].

وحتى يستطيع نشر مذهبه وأفكاره بعيدًا عن المعارضينَ له المخالفينَ لتعاليمه لجأَ إلى مكان في إحدى قرى قرطبة واستوطنهَا، وأخذ رُوادَه يترددون عليه ويأخذون عنه تعاليمِهْ. كما أضاف ابن حيان: " وأوحش من الناس وآثر الانتباذ (الابتعاد) عنهم، حتى استوطن ضيعة ببعض قرى قرطبة، مفضلاً مكانه هناك على مجاورة أهلها وشهادة جمعها، فظل دُعاتَه وأصحابه يتناوبونَه (بالتردد عليه) بمكانه ويتكررون عليه ويأخذون عنه، فيمكنه الانفراد بهم من الإذاعة إليهم بما في نفسه مما لا يمكنه إذاعته بالمصر، وقد أوتي من عذوبة الكلام ومتانة الحجج والغوص على دقيق المعاني والافتنان في ضروب العلوم ما يَسْتَلب به القلوب ولا يعييه عن صواب، ولم يكتفي بتعليم تلاميذه بل انهمك في تأليف الكتب

---

[1]- الزنادقة: أصلهم من الزندقة، والتفسير الاعتيادي هو أن زنديق كلمة فارسية معناها متبع الزند، أما التفسير الأقرب وهو أبرار المانوية وزهادهم الذين يفرضون على أنفسهم إيثار المسكنة ورفض الدنيا والزهد فيها، وكانوا يدعون بالعربية الصديقون وواحدهم صديق، والأصل الآرامي لهذه الكلمة هو زنديك، بمعنى ملحد؛ ينظر: عبدالعزيز الدوري، العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، د. ط، منشورات دار المعلمين العالمية، بغداد، 1945م، 137.

[2]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص 41.

[3]- كامل محمد عويضة، المرجع السابق، ص 34.

و كتابة المقالات و الرسائل التي و ضحت الغموض الذي كان يكتنف كثيرًا من المسائل والأحاديث الضعيفة[1].

وأخذ ابن مسرة يعرض دروسه على تلاميذه، وما فيها من المسائل المعقدة بطريقة بارعة وتعبير بليغ[2]، ويَسْرد مسائل المدونة المالكية عمدة أهل السنة في الأندلس سَرْدَ القرآن الكريم ، ويعمل على صياغتها بأوضح برهان، وإخراجها إلى أجزاء مختصرة حسنة، ولم يزل الإجماع من مخالفيه واقعًا على أنها أفضل وأوْجز وأبْسط من كل مختصرة صِيغت فيها، فبالإضافة إلى رسوخه في بسط العلم، عمل على التأني في استدراج الخصم الذي يواجه، وكان بإمكانه أن يستهوي العقول بأساليبه، ويصيد الأفئدة ببراعة طُرقه التي كان يمتلكها لجلب قلوب الناس إليه[3].

لكنه في الحقيقة كان يَفْتَتِح بكلامه مغاليق الأسرار لطلبته وينتهي بأن يعلمهم كتبه التي ألفها، وكان من بين تلاميذه من امتاز بحدة الذكاء والنشاط، وهو حي بن عبد الملك، وكان قريبا منه لدرجة أنه يسكن معه في الجبل، ويتردد عليه كثيرا، ولما وضع ابن مسرة كتاب التبصرة لم يعمل على إخراجه حتى انتسخه، وحرف الأصل وغير فيه دون علم ابن مسرة، ومن تلاميذه خليل بن عبد الملك القرطبي[4]، ومحمد بن سليمان العكي المعروف بابن المورووري، وأحمد بن فرج بن منتيل بن قيس[5]، وغيرهم كثير[6].

---

[1]– ابن حيان، المصدر السابق، ص 20،21.

[2]– بالنثيا، المرجع السابق، ص 328.

[3]– ابن حيان، المصدر السابق، ص 21.

[4]– خليل بن عبد الملك بن كليب المعروف بخليل الغفلة، من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق وروى بها كتاب التفسير المنسوب إلى الحسن بن أبي الحسن، وكان يعلن بالاستطاعة، ومشهورا بالقدر ولا يتستر به، وذكر بعض المؤرخين أنه لما مات خليل أخرجت كتبه وأحرقت بالنار إلا ما كان فيها؛ ينظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 139.

[5]– أحمد بن فرج بن منتيل بن قيس، من قرطبة ويكنى أبا عمر رحل إلى المشرق وسمع من الشعراني ومن محمد بن سعيد بن سفيان بن سعيد المؤذن بمصر، وينسب إليه اعتقاده مذهب ابن مسرة، (ت344هـ/955م)؛ ينظر: نفسه، ص 41.

[6]– بالنثيا، المرجع السابق، ص 328.

وكان ابن مسرة يستخدم أسلوب المفاضلة، مع من يأتي إليه مقتبساً من أهل السلامة، ويلاقيه بالمساهلة إلى أن يتراجع عن رأيه بفضل ما لديه من عذوبة في الحديث، وكثرة الكلام، وقوة في الحجج، بالرغم مما لديه من الباطل الذي كان يخفيه عن الناس، فلا يُستبعد أن يلفت من يأتي إليه عن رأيه ويشككه في اعتقاده، ويتمكن من قلب اختياره ليصبح أحد أتباعه، وقد استهوى خلقًا كثيرًا مِن الناس، وصدهم عن سبيل السُنَّة الحسنة وأوحشهم مِن الجماعة، واتخذ مِن الذين فهموا مذهبه ورسخوا به دعاة وأئمة، ودخل في وسط أتباع ابن مسرّة رجال من ذوي الفهم والوَجاهة عرفوا بأتباعه، واستمر يُظهر عليهم بالمواثيق في كتمان أمره إلا عند الثقات منهم، وكتم أمره عندهم إلى أن توفي في صدر دولة الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله الذي شغلته الحروب عن ملاحقة ابن مسرّة وأتباعه، فكان موته سبباً في رفع الفتنة عن الناس، لكن دعاته انتشروا في كافة أنحاء البلاد بعد وفاته، وعمل أتباعه بما كان لديهم من علم على بث مذهبه، واستمعت لهم جماعة كبيرة من خاصة الناس وعامتهم، وأخذ مذهبه ينتشر من قرطبة إلى سائر أنحاء بلاد الأندلس[1].

2/ الآراء الكلامية التي تأثر بها في بداياته:

يمكننا أن نذكر هنا بإيجاز بعض الآراء التي أثرت و ساهمت في بناء فكر ابن مسرة الصوفي و الفلسفي فيما بعد و التي كانت عن طريق احتكاكه ببعض فرق المعتزلة كالجهمية، والهشامية، والشيعية.

تناول ابن مسرّة في أقواله القول بالاستطاعة، و إنفاذ الوعد والوعيد، وتحريف التأويل في كثير من آيات القرآن الكريم[2]، ومن أبرز أفكار ابن مسرة التي عمل على نشرها أنه ادعى

[1]– ابن حيان، المصدر السابق، ص 21، 22.

[2]– طه عبد المقصود، المرجع السابق، ص 219.

التكلم على تصحيح الأعمال، ومحاسبة النفوس على حقيقة الصدق، ، فكان يبدو لمن لم يتعمق في ذلك العلم أنه يتكلم برأي أهل السنة[1].

– وينسب إليه القول:" بأن علم الله هو غير الله تعالى هو محدث مخلوق"، و هذا القول منسوب أيضا الى جهم ابن صفوان رأس الجهمية و هشام بن الحكم رأس الفرقة الهشامية (وهم من الرافضة)، و هاتان الفرقتان من الفرق الكلامية التي كانت معروفة في العراق[2].

– إمكان اكتساب النبوة حيث لا اختصاص فيها، و أنه قد يصل إليها مَن بلغ الغاية في الصلاح و طهارة النفس[3]. وقد نبه المستشرق الإسباني آثين بلاثيوس إلى أن هذه المقولة مستوحاة من تعاليم الباطنية[4]. و يعني هذا أن ابن مسرّة تأثر ببعض أفكار الباطنية، خصوصًا إذا عرفنا أنه قضى فترة من حياته في القيروان[5] في الفترة التي بلغ فيها نشاط الدولة الفاطمية الفتية أوجه من الناحية السياسية و الدعائية، و كان الفكر الشيعي الباطني موغلا في الاعتماد على الفكر الفلسفي تحت رعاية الفاطميين[6]، و لذا فإن بعض الباحثين يؤيد الفرض القائل لأن ابن مسرّة كان مبعوثًا خاصًا ليؤسس نظامًا باطنيًا تحمل كلماته معاني غامضة، و ليؤسس حزبًا فاطميًا في الأندلس[7]، ويلخص الأمر الكتاب الرائع " عبيد الله المهدي امام الشيعة الإسماعيلية و مؤسس الدولة الفاطمية " حيث يذكر الكاتب الدكتور

---

[1]– ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص 41.

[2]– ابن حزم أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري، الفصل في الأهواء و الملل و النحل، ط1، المطبعة الأدبية، مصر، 1320هـ/1902م، ج2، ص 99.

[3]– نفسه، ج4، ص 199.

[4]– طه عبد المقصود، المرجع السابق، ص 120.

[5]– الخشني محمد بن الحارث بن أسد، طبقات علماء إفريقية، د. ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د. ت، ص 159، 160.

[6]– محمود علي مكي، التشيع في الأندلس، بحث منشور في مجلة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد، 1954م، مج2، ص 159، 160.

[7]– محمد كمال جعفر، في الفلسفة الاسلامية دراسة و نصوص، ط1، مكتبة الفلاح للنشر و التوزيع، القاهرة، 1419هـ/1999م، ص 232.

حسن إبراهيم حسن : " عمل عبيد الله المهدي على غزو بلاد الأندلس فكريا و مذهبيا، حتى يمهد للفاطميين سبيل الاستيلاء على هذه البلاد. و من ثم عهدوا في إدارة تلك المدرسة الإسماعيلية والإشراف عليها، إلى ذلك العالم الفيلسوف ابن مسرة، وكان أحد دعاتهم، و كانت له فلسفة دينية خاصة تتمثل فيها الصراحة، مما عرضه للاضطهاد، و اضطر للخروج من بلاد الأندلس"[1]. و إن كنا نستبعد ذلك.

– القول بتدبير العرش للعالم، لأن الله أجلُّ من أن يوصف بفعل شيء. و هذه الفكرة تتفق مع رأي أرسطو في عدم مباشرة الإله لأي فعل أو تدبير[2]. و يرى الدكتور محمود مكي أنَّ رد ابن مسرة تدبير العالم إلى العرش لا يخلو من التأثر بعقيدة الإسماعيلية في ذلك، حيث تذهب هذه الفرقة إلى أن العرش إنما هو العقل الأول و المبدع الذي صدرت عنه المخلوقات[3]

خلاصة القول هذه هي الملامح العامة لمذهب ابن مسرة القرطبي، و قد اختلفت فيه آراء الدارسين؛ فمنهم من يراه مذهبًا زهديًّا صوفيًا، و منهم من يراه مذهبًا كلاميًا اعتزاليًّا، ومنهم من يراه مذهبًا من مذاهب التصوف الفلسفي[4]، ونجد أن هذا المذهب كما يتضح من خلال عرضنا السابق لآراء ابن مسرة، انعكست فيه بعض جوانب الفلسفة اليونانية مع بعض العناصر الاعتزالية، إلى جانب بعض الآراء الصوفية الباطنية، وهي تعد اللبنة الأولى التي تشكل منها مذهب ابن مسرة و كون من خلاله مدرسة و كان له مريدين و أتباع و هذا ما سنجيب عنه في الفصل الموالي و نعمل على توضيحه .

---

[1]– حسن إبراهيم حسن و طه أحمد شرف، عبيد الله المهدي امام الشيعة الإسماعيلية و مؤسس الدولة الفاطمية، د. ط ، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1366هـ/1947م، ص 255.

[2]– نفسه، ص 250.

[3]– محمود مكي، المرجع السابق، ص 108، 109.

[4]– محمد بركات البيلي، الزهاد و المتصوفة في بلاد المغرب و الأندلس حتى القرن الخامس الهجري، د. ط، دار النهضة العربية، القاهرة، 1993م، ص 183، 184.

الفصل الثاني:

أهم الروافد الفكرية التي وجهت مذهبا لمسرة ومدرسته وأثر مذهبه

أولا: الروافد التي كونت فكر ابن مسرة:

ثانيا: مدرسة ابن مسرة:

أولا: الروافد التي كونت فكر ابن مسرة:

يتجلى تأثير مِن ما استفاده ابن مسرة من ثقافة عصره في تكوين مذهبه الفلسفي الباطني ذي الملامح الزهدية الصوفية الاعتزالية الشيعية الإسماعيلية، حيث يمكن القول أن مذهبه قد تشكل من خلال ثلاث روافد أساسية: الرافد الصوفي، الرافد الاعتزالي، والرافد الفلسفي الغنوصي، استطاع ابن مسرة أن يجمع بين طيات فلسفته عناصر ثلاثة جوهرية، استوعبتها تجربته الصوفية الفلسفية فأثرتها ومنحتها طابعًا مميزًا.

1/ الرافد الصوفي:

أكد ابن الفرضي أن ابن مسرة كان يدعي التكلم عن تصحيح الأعمال، ومحاسبة النفوس على حقيقة الصدق على نحو من كلام " ذي النون الإخميمي المصري"[1] " أبي يعقوب النهرجوري"[2]، لا شك أن هذه الشهادات التي أصدرها المؤرخون والمفكرون الأندلسيون تثبت أن الرجل كان صوفيا مغرقًا في التصوف، غير أن هذه الشهادات تشير إلى أن تصوفه كان تصوفًا غريبًا عن المجتمع الأندلسي، تصوف طغى عليه الإشراق، الرمز، والغلو، هذا جعل أغلب من ترجموا له يستعيذون بالله من كلامه[3].

---

[1] - هو ذو النون ثوبان بن إبراهيم، وقيل، فيض بن أحمد، وقيل: فيض بن إبراهيم النوبي الإخميمي، نسبة إلى إخميم بلدة من مصر بالصعيد (ت 240هـ)؛ ينظر: الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء تحقيق: صالح السَّمر، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ/1996م، ج11، ص 532.

[2] - هو أبو يعقوب اسحاق بن محمد الصوفي النهرجوري (ت 330هـ)؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: إبراهيم الزيبق، د. ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ/1996م، ج15، ص 232، 233.

[3] - ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص 324.

2/ الرافد الاعتزالي:

نجد تأثير الاعتزال واضحًا جليًا في أفكار ابن مسرة وأفكار مدرسته وتلاميذه، وقد كان أبو ابن مسرة ذا ميول اعتزالية أخذها من المدرسة البصرية لذلك تأثر به ابنه محمد فكان شديد الصلة بخليل المعتزلي، ويوافق هذا الرأي آثين بلاثيوس[1]، وأنه كان يقول:" إنّ علمَ الله وقدرته صفتان محدثتان مخلوقتان، وأن له علمين أحدهما أحدثه جملة وهو علم الكتاب وعلم الغيب كعلمه أنه سوف يكون كفار، ومؤمنين، والقيامة، والجزاء، ونحو ذلك، الثاني علم الجزئيات وهو علم الشهادة"[2].

يقول ابن حزم: كان محمد بن عبد الله بن مسرة يوافق المعتزلة في القدرة يقول أيضا بأنه كان يرى:" أنَّ علم الله تعالى هو غيره هو محدث مخلوق"[3]، هذه الشهادات تكفي للتأكيد على ميول ابن مسرة الاعتزالية التي أشرنا إليها سابقًا.

3/ الرافد الفلسفي(الأمباذوقلية):

أما الجانب الأهم في فكر وعقيدة ابن مسرة فيبقى الجانب الفلسفي أو الباطني الغنوصي، حيث كان ابن مسرة كما يصفه كل الذين أرخوا له ولمدرسته كابن حزم والشهرستاني، وابن الفرضي، والقفطي، وصاعد الأندلسي كلفًا بآراء أمباذوقليس في النبوة والميعاد وصفات الله تعالى. فهذه الشهادة من أندلسي قريب العهد من ابن مسرة عالم بالفلسفة متعمق فيها يؤكد أن ابن مسرة كان من المعتنقين للأفكار الأمباذوقلية المنحولة وغير المنحولة، وللتدليل على ذلك يقدم صاعد الأندلسي دليلا من كلامه؛ إذ يرى أنَّ ابن مسرة:" كان أول من ذهب إلى الجمع بين معاني صفات الله تعالى، وأنها كلها تؤدي شيء واحد، وأنه وإن وصفه بالعلم والجودة والقدرة، فليس هو ذا معان متميزة تختص بهذه الأسماء

[1] - الفيومي محمد إبراهيم، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، ط1، دار الجيل، بيروت، 1417هـ/1997م، ص 274.

[2] - الجابري محمد عابد، نحن والتراث، ط6، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1983م، ص 245.

[3] - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، د. ط، دار الجيل، بيروت، د. ت، ج5، ص 65.

المختلفة، بل هو الواحد بالحقيقة الذي لا يتكثر بوجه أصلا، بخلاف سائر الموجودات، فإن الوحدانيات العالمية معرضة للكثير إما بأجزائها وإما بمعانيها وإما بنظائرها، وذات الباري متعالية عن هذا كله[1].

وأمباذوقليس كما يروي لنا الشهرستاني، يرى أنه فوق هذا العالم الطبيعي عالمًا روحانيًا نورانيًا لا يدرك العقل حسنه وبهاءه، وأن النفس الأزلية تشتاق إليه، لقد أبدعت المحبة هذا العالم في تبدع الجواهر الروحانية البسيطة، وإذا كان الشهرستاني يسوي ما بين المحبة والغلبة في الأهمية، فهما كما يذكر صنعتان أو صورتان للعنصر وقد أبدعا جميع الموجودات الروحانية فانطبعت على المحبة الخالصة والموجودات الجسمانية على الغلبة[2].

إنه نظام متكامل لحركة الكون، وهذا لب التجربة الصوفية التي كلف بها ابن مسرة في فلسفة الفيلسوف اليوناني الذي لا نستبعد أن يكون ضمن أولئك المتألهين الذين أشار إليهم الإمام الغزالي فهو يرى أن عموم الفلاسفة قد أخذوا من كتب الله المنزلة على أنبيائه وجربوها بكلامهم توسلاً بالتجمُلِ بها كما يقول:" إلى ترويج باطلهم "[3].

أما الإمام الحميدي فيرى أن ابن مسرة: "كان على طريقة من الزهد والعبادة لم يُسبق فيها، وله طريقة في البلاغة وتدقيق اللغة في غوامض إشارات الصوفية..."، ثم قال: "وقد نُسبت إليه بذلك مقالات نعوذ بالله منها... والله أعلم به"[4].

رغم هذا التداخل الذي يبدو متناقضا للوهلة الأولى؛ فنظريات المعتزلة، وكلاميات غيرهم و روحانيات الصوفية تتصهر في بوتقة ابن مسرة، إذ يذهب ابن تيمية إلى أن:

---

[1] - صاعد الأندلسي، المصدر السابق، ص 21، 22.

[2] - الشهرستاني، المصدر السابق، ص 381.

[3] - أبو حامد الغزالي محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المنقذ من الضلال، د. ط، دار الكتب الحديثة، مصر، د. ت، ص 126.

[4] - الحميدي ، جذوة المقتبس، د. ط، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1966م، ج2، ص 63.

"...المعتزلة من أبعد الناس عن طريق أهل الكشف والخوارق، والصوفية يذمونها ويعيبونها"[1]. وهكذا كان دأب العلماء التقليديين دوما يجزعون من كل تجديد فلسفةً كان أم علمًا، فلم يكن من المستغرب أن تهاجم آراء ابن مسرة وآراء بعض تلاميذه إذ أنهم مدوا أياديهم للتعامل مع آراء وأفكار لم يعهدها هؤلاء العلماء والمؤرخين.

و قد أبرز مذهب ابن مسرة نظرية ثانوية كانت موجودة عند "أفلوطين"، وهي القول بوجود مادة روحانية تشترك فيها جميع الكائنات ما عدا الذات الإلهية، واعتبرت هذه المادة أول صورة برزت للعالم العقلي الذي يتألف من الجواهر الروحانية. ويذكر المستشرق الإسباني أنخل بالنثيا أن ابن مسرة قد دافع عن هذا المذهب تحت ستار إسلامي من آراء المعتزلة والباطنية[2]. ويقول ليفي بروفنسال أنه أراد بناء منهج فلسفي يقوم على مبدأ وحدة الوجود، وأن أصالة فلسفة ابن مسرة تكمن في الاستفادة من هذه الفكرة[3].

ويرى جولد زيهر أنه تأثر بنظرية الأفلاطونية الحديثة التي كانت منتشرة بالمشرق في ذلك الوقت، كون مدرسة تدعوا إلى حرية الفكر.[4]

إن وقوف ابن مسرة على هذه الآراء الفلسفية أثار تساؤلا عرض له أحد الباحثين عند تناوله الحديث عن الحياة الفكرية في الأندلس حيث يقول: " ولا يزال من المتعذر علينا أن نقرر كيف وصلت إلى علمه الميتافيزيقية المنسوبة إلى أنبذوقليس الملحقة بالأفلاطونية

[1] - محمد أحمد عبد المطلب عزب، موقف العلماء من ظاهرة التصوف الفلسفي (ابن مسرة الجبلي أنموذج)، جامعة المدينة العالمية، ص 265.

[2] بالنثيا، المرجع السابق، ص 329، 330.

[3] - ليفي بروفنسال، المرجع السابق ، ص 180.

[4] - نفسه ، ص 179.

الحديثة "[1]. وهذا تساؤل وارد بخاصة إذا حدث هذا في مجتمع كالمجتمع الأندلسي الذي ما كان يسمح بتناول آراء أقل خطورة و إيغالا في الفلسفة من هذه الآراء.

ويبدو لنا أن هذه الآراء إنما وصلت إلى ابن مسرة[2] عن طريق اشتغاله بالمذهب المعتزلي الذي تعلم كثيرا من مبادئه في المشرق، ذلك المذهب الذي كان معبرا هاما انتقلت عبره كثير من أعمدة الآراء الفلسفية اليونانية إلى ساحة الفكر الإسلامي[3].

وقيل كان ابن مسرة باطنيا، يقول ابن أبي أصيبعة: " محمد بن عبد الله بن مسرة[4] الجبلي من أهل قرطبة "[5]، والباطنية فرقة تنضوي تحت فرق الشيعة؛ ويرى المستشرق آثين بلاثيوس أن ابن مسرة تعود أفكاره وآراؤه إلى أفكار وآراء إحدى فرق الشيعة، منسوبة إلى ميمون بن ديصان القداح[6].

إذًا تنوعت وتوزعت أفكار ابن مسرة بين اتجاهات كثيرة، فابن عربي الحاتمي المعروف في الوسط الصوفي بالشيخ الأكبر صاحب "الفتوحات المكية" يقول فيه: " ابن مسرة الجبلي من أكبر أهل الطريق علمًا وحالاً وكشفًا"[7]، وهو يشي بما كان عليه ابن مسرة، فإن ابن عربي كما هو معلوم متهم داخل الأوساط السنية-خاصة السلفية منها- بمنزع بعيد عن

[1] - علي حمودة، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1376هـ/1957م، ص 221.

[2] - أحمد أمين، فجر الإسلام، ط 10، دار الكتاب العربي، بيروت، 1969م، ص 128، 130.

[3] - صاعد الأندلسي، المصدر السابق، ص 21.

[4] - ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، د. ط، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت، ص 61.

[5] - البغدادي أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد، الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، د. ط، المكتبة العصرية، بيروت، 1416هـ/1995م ص 266.

[6] - هو رأس الباطنية (ت 170هـ)، وللباطنية أقوال قبيحة. أنظر: ينظر: الإسفراييني أبي المظفر، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، ط1، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ/1983م، ص 142.

[7] - محي الدين بن عربي محمد بن علي بن محمد بن العربي أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي، الفتوحات المكية، تحقيق: تحقيق: عثمان يحي، د. ط، دار الكتب العربية الكبرى، مصر، 1405هـ/1985م، مج1، ص 148.

الجادة، وهناك من ذهب إلى القول بكفره[1]، ووصفه لابن مسرة بهذا يَشي بالتقارب الفكري و المذهبي بينهما.

والحق أن هذا المذهب – كما يتضح من خلال عرضنا السابق لآراء ابن مسرة– انعكست فيه بعض جوانب الفلسفة اليونانية مع بعض العناصر الاعتزالية، إلى جانب بعض الآراء الصوفية الباطنية. والذي نؤكد عليه هو أن هذه الروافد التي تشكل منها مذهب ابن مسرة كلها روافد مشرقية وفدت على قرطبة من إقليم العراق.

[1] - برهان الدين البقاعي إبراهيم بن عمر بن حسن بن الرباط بن علي بن أبي بكر، مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1400هـ/1980م، ص 122.

ثانيا: مدرسة ابن مسرة:

رغم هذا الانحراف في بيئة ظلت محافظة إلى حد كبير على تراثية الفكر لا يحاول مثقفوها البعد عن النهج القاصد أو ركوب مركب الفلسفة، فإن الواضح أنَّ ابن مسرة نجح في أن تكون له طائفة من الأتباع والمريدين توارثوا فكره ومنهجه، وظلوا متديّنين به حينًا من الدهر. كوَّن ابن مسرة إذًا مدرسة عُرفت بالمسرية[1]، وأصبح مصدر قلق يثير السلطات، التي شأنها دائمًا الخوف من أصحاب الأتباع والمريدين، ودائمًا ترقب تصرفاتهم وتحاول التأثير فيها أو تحويل وجهاتها للركون لها والانصياع لمنظومتها أيًّا كان تَوَجُهَهَا، وحَذرُها دائم منهم وتوجسها مستمر مِن أصحابها.

1/ مدرسة ابن مسرة:

إنَّ المتتبع لمسار ذلك التجمع الصغير الذي كونه ابن مسرة مع جماعة من طلبته الذي تحول بعد مرور أكثر من عشرين سنة على وفاته إلى مدرسة قائمة بذاتها، أندلسية الأصول والفروع معًا، بدءً من مؤسسها الأول " ابن مسرة " وصولاً إلى تلاميذه وأتباعه الذين كان عددهم يزداد يوما بعد يوم، الشيء الذي ساعد على انتشار أفكاره في كل أرجاء الأندلس، خاصة في قرطبة التي تعتبر المعقل الرئيس، إضافة إلى جيان[2]، والمرية[3].

---

[1] - الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس و المغرب، أخرجه مجموعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي، د. ط، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م، ج2، ص 443.

[2] - جيان: مدينة بالأندلس، بينها بين بياسة عشرون ميلا، تقع في سفح جبل عالي؛ ينظر: الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص 183.

[3] - المرية: تقع بين مرسية جيان، هي على ساحل البحر، مرسى الأندلس، تقصدها المراكب من المشرق، هي من بناء عبد الرحمان الناصر(344هـ)؛ ينظر: الزهري أبو عبد الله محمد، كتاب الجغرافيا، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت، ص 101.

عاشت الجماعة الصغيرة التي أسسها ابن مسرة حياة مغلقة، لا يعرف عن تفاصيلها شيء على وجه الحقيقة، وكان أفرادها يعيشون حياة وفق طريقة الصوفية التي حددها وقررها لهم ابن مسرة، وأمرهم بالتظاهر أمام الناس بما يخالف ما عندهم من آراء يسيرون عليها، ولكن لا شك أن لهذه الجماعة طريقة تشبه الطرق الصوفية، وذلك لأن شيخ هذه الجماعة وأفرادها كانوا يتحرَوْنَ التزام قواعد طريقتهم التزاما دقيقًا[1]، وانتهى بهم الأمر إلى الاختلاف والانقسام إلى فرقتين:

فرقة تفضله وتبلغ فيه مبلغ الإمامة في العلم والزهد والمعرفة، وفرقة تبعده عن ذلك، وتطعن عليه بالبدع لما ظهر من كلامه في الوعد والوعيد وخروجه عن طريق العلوم المعلومة والمعهودة بأرض الأندلس الجارية على مذهب التقليد والتسليم[2]، حتى ذهب بعض الفقهاء إلى القول بأن ابن مسرّة وتلاميذه زنادقة[3].

أ/ تلاميذه المباشرين:

وحسب المصادر يمكن تصنيف طلبة ابن مسرة الى مجموعتين:

- **المجموعة الاولى:** وهي التي تلقت أصول المذهب على يد ابن مسرة، وصحبته في أسفاره ورحلاته، وظلت على اتصال به حتى وفاته، ومن بينهم: خليل بن عبد الملك الذي سبق ذكره، وأيوب بن فتح[4]، وأحمد بن فرج بن منتيل سبق ذكره، أيضا محمَّد بن أحمد بن حمدون الخولاني القرطبي، المعروف بابن الامام، قال ابن الفرضي(ت403هـ): " كان عالما باللغة، بليغا لسنًا، حافظا للأخبار والأنساب، وكان

[1] - بالنثيا، المرجع السابق، 328.

[2] - ابن حيان، المصدر السابق، ص 33؛ ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص 41.

[3] - بالنثيا، المرجع السابق، ص 329.

[4] - أيوب بن فتح، من أهل قرطبة، رحل مع ابن مسرة، رافقه إلى الحجاز وحج معه وأخذ كتبه عنه، كان كثير العمل مجتهد له نسك وزهد، توفي 345هـ؛ ينظر: ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: الدكتور عبد السلام الهراس، د. ط، دار الفكر، بيروت، 1415هـ/1995م، ج1، ص 199.

مشهورا باعتقاد مذهب ابن مسرة لا يتستر بذلك، كان مولعا بالتشريق[1] في صلاته، توفي سنة (380هـ)[2]، غيرهم.

- **المجموعة الثانية:** وهي التي لم تلتقي بابن مسرة، بل أخذت أصول المذهب معن تلامذته المباشرين كأبناء منذر ابن سعيد، وأضحى بن سعيد[3].

ب/ أتباعه

وقد اشتهر مجموعة من أتباع ابن مسرة من أبرزهم:

✓ اسماعيل بن عبد الله الرعيني:

وعلى العموم فإن أشهر تلاميذ ابن مسرة هو "اسماعيل بن عبد الله الرعيني" عاش أواخر القرن الرابع الهجري في " ألمرية "، وكان أهل بيته كلهم مسَّريين وقد عمل الرعيني على إدخال بعض التعديلات والإضافات على المذهب، ويحدثنا ابن حزم عن الرعيني و فكره فيقول: " كان من المجتهدين في العبادة المنقطعين في الزهد، وأَدْرَكْتُهُ إلا أني لم ألقه "، ثم أحدث أقوالا شنيعة منها: " أن الأجساد لا تُبعث أبدًا وإنما تُبعث الأرواح "، وأنه كان يقول: " إنَّ العالَم لا يفنى أبدًا بل هكذا يكون الأمر بِلا نهاية "، كما كان يقول:" أن العرش هو المدبر للعالم وأنَّ الله تعالى أَجَلُّ مِنْ أَنْ يُوصَف بِفِعْلِ شيء أصلاً "[4].

وقد ادعى الإمامة وأحاط نفسه بالإجلال والتوقير، وألزم أتباعه بإعطائه زكاة أموالهم، كما كفر خصومه وأباح أموالهم، غير أن الطابع الأمباذوقلي الفلسفي واضح في مواقفه التي

---

[1] - التشريق، هو تولية الوجه وجاه الشرق الفلكي.

[2] - السيوطي الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، بُغية الوُعاة في طبقات اللغويين والنّحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، 1384هـ/1965م، ج1، ص 22.

[3] - أضحى بن سعيد، مال إلى مذهب ابن مسرة أخذ كتبه ولم يلقه، كان من أهل الخير والانقباض معلمًا بالقرآن؛ ينظر: ابن الآبار، المصدر السابق، ج1، ص 173.

[4] - ابن حزم، المصدر السابق، ص 138.

جمعته مع أستاذه ابن مسرة، حيث يجمعهما القول بِقِدَمِ العالم وخُلود الروح وتَعالِي الذات الإلهية عن الوصف أو الفعل، ويتفقان في ادعاء أَنَّ النُبُوَةَ مِنْ المُكْتَسَبات وهذه الآراء هي من مبادئ الأمباذوقلية[1].

✓ ابن العريف (535هـ/1440م):

بعد الرعيني سطع نجم صوفي آخر من صوفية الأندلس هو أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن العريف من المرية توفي سنة(535هـ)، وقد كان من المشتغلين بالعلم المعتنين بالقراءات وجمع الروايات متعمقًا في العبادة والزهد، وله في التصوف كتاب "محاسن المجالس" وكان أهل الزهد يقصدونه فيحمدون صحبته، وقد وُشِيَ به عند السلطان فأمر بإبعاده إلى مراكش[2].

أما بالنسبة لتصوف ابن العريف فإن المؤشرات الكثيرة توحي بأنه كان من تلاميذ المسرية وقد اعترف ابن عربي الحاتمي بأن ابن العريف هو أحد شيوخه، وعنه وبواسطته تلقى مبادئ المدرسة المسرية، وقد تخرج على يد ابن العريف رعيل صوفية الأندلس الباطنيين وعلى رأسهم أبو بكر الميورقي وابن برجان.

✓ ابن برجان (ت 536هـ/1441م):

هو ابن برجان عبد السلام بن عبد الرحمن الإشبيلي (ت536هـ)، ألف كتبًا منها: "الإرشاد " ،" تفسير القرآن"، و" تفسير أسماء الله الحسنى"، ويبدو أن تصوفه كان ينحو منحى باطنيًا، ولا شك أَنَّ تأثره بالثقافة الفلسفية الإشراقية التي كانت سائدة في بيئته، ولاسيما

[1] - جمال علال البختي، المرجع السابق، ص 30.

[2] - ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، د. ط، دار صادر، بيروت، 1398هـ/1978م، ج4، ص 168.

ما يتعلق منها بفلسفة ابن مسرة وتلميذه الرعيني كان كبيرًا وعميقًا، ويذهب بعض الباحثين اعتمادًا على أقوال ابن تيمية وابن الجوزي أن ابن برجان تأثر في تصوفه بالمدرسة (السالمية) نسبة إلى أبي عبد الله محمد بن محمد بن سالم البصري توفي(297هـ/909م)، وهو مذهب صوفي يعتقد بالخلق المستمر، فالله خالق في كل آن، ويفعل في كل شيء بحركة وسكون، وفعله القديم يجعله متجليًا في كل مكان، وقد انتهى الأمر بالسالمية إلى القول بالاتحاد وأعلنوا الاتحاد الصوفي الذي يدركه المتصوف، وبهذا اتفقوا مع (الحلاج) وأيدوه وأخذوا برأيه في الكثير من مواقفهم[1]. وقد انتهى الأمر بابن برجان بسبب أفكاره أَنْ أُبعد إلى مراكش وبها توفي .

✓ ابن قسي (546هـ/1151م):

يعتبر ابن قسي أكثر متصوفة هذه المرحلة تأثرًا بابن مسرة خاصةً فيما يتعلق بمنهجه في الاعتبار مِنْ أَجْلِ معرفة حقيقة الوجود بشكل تدريجي مِنْ أَدْنَى الوُجود إلى أعلاه، حيث كان هو الآخر يتبع منهجا صاعدا من أجل إدراك الحقائق، ينطلق من المُشَخَّصْ الجزئي إلى المُجَرَّدْ الكُلي، ومن ثمة فإن معرفة الأسماء الإلهية عنده مرحلة وسطى في طريق المعرفة السامية اليقينية، ألا وهي معرفة الله نفسه؛ أَيْ معرفة العالم أولاً والأسماء ثانيًا والله ثالثًا. فإن كانت المعرفة الأولى تتميز بالمباشرة فإن معرفة الله لا تَتِم إلا على قدر ما تقبله عقولنا، كلٌ بحسب استعداده. ولابن القسي مؤلف واحد ووحيد هو: " خلع النعلين واقتباس النور من موضع القدمين "[2].

[1]- جمال علال البختي، المرجع السابق، ص 104.

[2]- محمد العدلوني الإدريسي، المرجع السابق، ص 106.

2/ أثر مذهب ابن مسرة في متصوفة الفلاسفة من بعده:

كان تصوف ابن مسرة وفلسفته حاضرين حضورًا بالغًا عند من اختلط عندهم التصوف بالفلسفة، وعن أثر ابن مسرة و حضوره في الفكر الصوفي الفلسفي المتأخر بالغرب الإسلامي فكان واضح الأثر، ومن أهم الشخصيات الصوفية المتأخرين الذين استخدموا مؤلفات ابن مسرة كمرجعية فكرية لهم من بين مرجعياتهم نذكر:

✓ ابن عربي الحاتمي (ت 638هـ):

وهو أعظم شخصية صوفية فلسفية في الغرب والشرق الإسلاميين بالقرن السابع الهجري، معه تم نضج أهم نظرية صوفية فلسفية في الوجود والمعرفة والقيم، ألا وهي نظرية وحدة الوجود (المرسلة). خلف عدة مؤلفات أهمها: " الفتوحات المكية " و" فصوص الحكم " وقد وظف ابن عربي كثيرا من آراء ابن مسرة في موضوعات شتى، فيما يتعلق بحقيقة الأسماء والحروف التي في مبادئ السور واعتبارها أنها أصل لجميع الأشياء[1].

✓ ابن سبعين (ت 668هـ):

يعتبر ابن سبعين من أهم الصوفية الفلاسفة الأكثر استفادة من التراث الصوفي عامة والفلسفي على الخصوص، معه عرف التصوف الفلسفي مرحلة تطوير هامة حيث صار بمذهب وحدة الوجود مذهبًا خاصًا متميزًا نسبيًا عن مُواطنه ابن عربي عندما قال: " بالوحدة

[1]- محمد العدلوني الإدريسي، المرجع السابق، ص 107.

المطلقة التي لا وجود فيها للسوى سوى الله فقط ". من أهم مؤلفاته والتي يظهر فيها بعض من آراء سلفه ابن مسرة: " كتاب بد المعارف " و" رسائله "[1].

و بعد هذه الوقفة مع مدرسة ابن مسرة الصوفية سجلنا فيها ظهور الأفكار الأفلاطونية المحدثة، و عقائد الإسماعيلية و نظريات الهرمسية و الغنوصية في الفكر المنسوب إلى هذه المدرسة الإشراقية الأندلسية، ووقفنا مع تلاميذها حيث تَقَوَتْ مع الرعيني و تَوسعت مع ابن برجان، و ابن قسي، وصولاً إلى ابن عربي، وابن سبعين، حيث تبين لنا أن هذه المدرسة الصوفية الأندلسية ابتعدت عن مواصفات الزهد البسيط أو التصوف السُني الذي كان منطلق التصوف الأندلسي في بداية الأمر[2].

و صفوة القول وكما رأينا كيف انتشر أتباع ابن مسرة في كافة أنحاء الأندلس في شرقها وغربها، خصوصا منطقة الوسط حول قرطبة وما جاورها حين كونوا مراكز صغيرة لنشر تعاليم شيخهم في الوسط الأندلسي المتعطش إلى مثل هذه الآراء، في ظل السيطرة المطلقة للفقهاء المالكية، و من هنا كان طبيعيا أن تلقى المواجهة و التكفير و الاضطهاد من طرفهم ومن الحكام، وحتى من قطاع عريض من فئات العامة. من هنا نخرج بتساؤل نختم به هذا الفصل لنجيب عنه في الفصل التالي وهو: كيف كان رد السلطة الأموية وفقهائها المالكية مع أتباع المدرسة المسرية؟.

[1]- محمد العدلوني الادريسي، المرجع السابق، ص 108.

[2]- جمال علال البختي، المرجع السابق، ص 43.

الفصل الثالث:

موقف النخبة الأندلسية من حركة ابن مسرة وأثرها على حركة العلوم الفلسفية في الأندلس

أولا: موقف الخلفاء الأمويين من حركة ابن مسرة

ثانيا: رد الفقهاء المالكية على حركة ابن مسرة

أولا: موقف الخلفاء الأمويين من حركة ابن مسرة:

يبدو أَنَّ الفقهاء المالكية قد أدركوا منذ البداية خطورة المذهب المسَّري، وحاولوا الرد عليه والدعوة إلى مقاومته، ومن هذا المنطلق يمكن القول أنَّ مذهب ابن مسرة شَكَلَ ثورة مذهبية بحقْ في الأندلس. إلا أنَّ حملتهم هذه لم تَتعدَ حدَّ الاستنكار لتعاليمه، واتهامه بالزندقة والالحاد، فألفوا في الرد على آرائه[1]، كما رأينا من قبل مع الفقيه أحمد بن خالد المعروف ب " الحباب "، أما السلطة الأموية والمتمثلة في تلك الفترة بالأمير عبد الله، فلم يصدر عنها أي رد فعل، وذلك نظرا للظروف المضطربة التي كانت بها الأندلس، بسبب كثرة الثورات الداخلية، غير أن هذا الموقف سرعان ما تغير باعتلاء الأمير عبد الرحمن الثالث العرش، هذا الأخير يبدو أنه كان قاسيًا نوعًا ما في تعامله مع الجماعة المسَّرية، التي رأى فيها خطرًا حقيقيًا، خاصةً بعد القبول الذي لاقته من العامة.

1 موقف الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله:

كان للخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله موقفين متناقضين من ابن مسرّة:

أولهما: أثناء حياة ابن مسرّة، تمثل بالرضا عن تصرفاته، وعدم التعرض له، و السماح له بالعودة إلى الأندلس، وذلك لِما أبداه ابن مسرّة من إعجاب بالخليفة، ومدحه له في الحفاظ على الكتاب والسنة وانتشار الأمن والاستقرار والسعادة، فيذكر:" وإنَّ الله قد انتقى لهم أمير المؤمنين الذي رضي به للخلافة، فأصبح بنعمة الله التي نعترف بالعجز عن شكرها مقتفيا أو متبعا لآثار الخلفاء آبائه والأئمة من سلفه، وقائما بالكتاب معلنا للسنة، ومؤثرا لهمها ومجاهدا عليهما، ونصر الله وكنفه وتوفيقه يصحبه، فلم يظهر للشيطان قرن

[1]– فاطمة الزهرة جدو، المرجع السابق، ص 28.

إلا قصمه، ولم يرفع له علم ضلال إلا وضعه، ولا باطل إلا محضه، حتى ألف الله به الأمة"[1].

ثانيهما: بعد وفاة ابن مسرّة وتشدد تلاميذه الذين حملوا أفكاره ومعتقداته في تطبيقها، لدرجة أن الخليفة ورجاله عملوا على محاربة هذه الأفكار والمعتقدات، وملاحقة أتباع ابن مسرّة في كل مكان، لِما كان لهم من تأثير في نفوس الناس، وتغير موقف الخليفة من أتباع ابن مسرة، وعندما كثر القول وزاد الخلاف حول أفكاره في حضرة الخليفة، وموقف أهل السنة في قرطبة الذين " توقعوا منه البَلِيَّة "، فما كان مِن الفقهاء إلا أن فزعوا بهمة إلى أصحاب الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله لمحاربة معتقداته ونبذ أفكاره، وأقنعوا الخليفة بإنكار مذهبه وتتبع أتباعه، فما كان من الخليفة إلا موافقتهم الرأي، وذلك لاستئصال بذور الفتنة من أجل أن تأتلِف الأهواء وتتفق الآراء عليهم[2].

وليتم قطع خبرهم والتخلص منهم قرأ على الناس بالمسجدين الجامعين في الحاضرتين قرطبة والزهراء، في يوم الجمعة التاسع من ذي الحجة سنة (334 هـ/945 م)، كتاب أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر لدين الله الموجه إلى الوزير صاحب المدينة عبدالله بن بدر بإنكاره لما ابتدعه المبتدعون، وشذ فيه الخارجون عن رأي الجماعة، المنتمون إلى صحبة محمد بن عبد الله بن مسرة وما انتحلوا في الديانة بعده، وأن أصحاب ابن مسرة قد اختدعوا العوام بما أظهروه من التقشف في الزي والشظف في المعيشة، وستروا بدعتهم بسكنهم الأطراف البعيدة، حتى استمالوا بأفعالهم عصابة، ضلت بضلالتهم، وفرقة فتنت بمذاهبهم[3].

[1] – ابن حيان، المصدر السابق، ص 22، 23.

[2] – نفسه، ص 22.

[3] – نفسه، ص 23.

وعندما بلغ ذلك أمير المؤمنين أخذ يتفحص صحة مذهبهم وصدق آرائهم، واستوحش ما قامت به تلك الطائفة الخبيثة من اجتراء " إذ جعله الله في بيت الحق ومعادن السنة وموطن الديانة والمحافظ عليه، لدن كل حوله"، وسلك في ذلك سبيل سلفه الطيبون، الذين كانوا يعملون على إنكار البدع، واتباع سبيل الجماعة، ومذهب أهل المدينة، عشُ الإيمان، ودار الهجرة التي فضّلها الله بالقرآن، الذي أرسله على رسوله – صل الله عليه وسلم – فيها حيًا وميتًا، وفضل أهلها الالتزام بالسنة المجمع عليها، وأوعز إلى وزيره الذي يتولى أحكام مدينته أن يتتبع آثار هذه الطائفة ويتحرى عنها ويعمل على إخافتها، ويبسط في القبض على من يعثر عليه منهم، وايصال خبر أي منهم إلى أمير المؤمنين واضحًا ومشروحًا، حتى ينظر في شأنه حسب ما يوجبه الحق ويوفقه الله لإتباعه، فتحرك الوزير عبد الله بن بدر بتوجيه الإنذار إلى هذه العُصب المارقة بالوعيد إن لم يفيئوا إلى الفلاح، ويتبعوا الطريق الصواب، ويلوذوا بالتوبة قبل أن يعثر عليهم[1] ويُوجد الدلائل القوية عليهم.

وأنفذ الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله إلى آفاق مملكته بشأن هؤلاء المبتدعة للتنديد بمذهب ابن مسرّة وأتباعه، وأصدر كتابًا طويلاً قرئ عليهم بأمصارهم من إنشاء الوزير الكاتب عبد الرحمن بن عبد الله الزَّجالي[2].

وفي يوم الجمعة الموافق 8 ربيع الأول عام (345 هـ/ 956 م) " قرأ على أبواب المسجد الجامع بقرطبة عهد للوزير صاحب المدينة عبد الله بن بدر، وأوعز به إلى جماعة من الناس في أصحاب محمد بن مسرّة باستشعار ضجرهم، واعتقاد المنابذة لهم والتوافق على القلى لهم، والقيام عليهم لتعاقبهم على ما ابتدعوه من مخالفة السنة، والشذوذ عما عليه الجماعة، استمع له الناس فازدادوا في النفور منهم بصيرة"، ثم قرأ العهد مرة أخرى في 20

[1]–ابن حيان، المصدر السابق، ص 24، 25.

[2]– ابن حزم، المصدر السابق، ص 25؛ ينظر: نص الخطاب في الملحق رقم (05).

شعبان سنة (346 هـ/ 966 م) على أبواب الجامع بقرطبة ذلك من أجل البحث عن أصحاب ابن مسرّة المبتدعين، والحرص على طلبهم لما قاموا به من أعمال تخالف السنة ومفارقة الجماعة[1].

ومن هذا الكتاب نتعرف إلى موقف الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله وهو التنديد بمذهب ابن مسرّة وأتباعه، واحتوى كتاب الخليفة على هداية الله سبحانه وتعالى الناس إلى طريق السعادة، وأمرهم بالسير على طريق الهدى والدين كما أراده الله ورسوله؛ ليعم العدل فيظل أمير المؤمنين وتنتشر الطمأنينة والسكون فيهم، وأمرهم بالابتعاد عن طريق الفرقة والتنازع، واستشهد على كل ذلك بالآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة.

وانتقل في كتابه إلى الحديث عن فرقة ابن مسرّة، وأنها إحدى أسباب الضلال والجهل، وانزال العذاب بالمسلمين، وأفكار هذه الفرقة وقولها بخلق القرآن والمجادلة في الآيات والتجاوز عن عذاب الله تعالى واغلاق أبواب الغفران، وتكذيب التوبة وابطال شفاعة الرسول وتفسير الآيات الكريمة حسب تقدير عقولهم، وما تحتوي أفكارهم من انتهاك لحرمات الله سبحانه وتعالى، وأشار الخليفة إلى أن سيفه كان لهم بالمرصاد، فأصدر إنذاره الشديد والقوي اللهجة، وأمر بقراءة كتابه على المنبر حتى يعلم أتباع هذا المذهب ويعودوا إلى رشدهم، ومن تثبت عليه الدلائل فإنه سيقيم الحد عليه بحضرته لكي يكون عبرة لغيره[2].

وبالرغم من وفاة ابن مسرة المبكرة في بداية عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله إلا أن أفكاره بقيت حية، وانتشرت من خلال أتباعه الذين أخذوا يعملون على بث تعاليمه وتدريسها للطلاب، ونشرت في الكثير من الكتب التي وضعت حتى بعد إصدار الخليفة الناصر كتابه ضدهم وأمره بمحاربتهم.

[1]– ابن حزم، المصدر السابق، ص 30.

[2]– ابن حيان، المصدر السابق، ص 33.

2 موقف الخليفة الحكم المستنصر

أما في عهد الخليفة الحكم المستنصر(350-366هـ/961-976م)، فقد ساد عهده جو من التسامح الفكري والديني، مما ساعد أتباع حركة ابن مسرّة على البقاء والاستمرار، وكان معظمهم من أهل الأدب والمؤرخين والمعنيين بأمور الجدل والتفكير الفلسفي، ولم يكونوا من المنصرفين إلى دراسة الحديث، وقد ذكرت أسماء بعضهم مثل: محمد بن فرج المعافري[1]، وأحمد بن وليد بن عبد الحميد بن عوسجه الأنصاري[2]، و رشيد بن محمد بن فتح الدجاج[3]، وأبان بن عثمان بن سعيد المبشر[4]، ومحمد بن أحمد بن حمدون بن عيسى الخولاني[5] ومحمد بن عبد الله بن عمر بن خير القيسي، وعبد العزيز بن حكم بن أحمد بن الإمام محمد بن

---

[1] – هو الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد المعافري المعروف بابن العربي وهو غير ابن عربي الصوفي الفقيه المالكي القاضي أحد حفاظ الأندلس من أهل إشبيلية، ولد سنة (468هـ) بإشبيلية، وسمع من أبوعبد الله بن محمد، من مؤلفاته، الوصول إلى معرفة الأصول، توفي سنة (514هـ)؛ ينظر: مجموعة من المؤلفين، موسوعة أعلام المغرب، تحقيق: محمد حجي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1417هـ/1996م، ص 355.

[2] – أحمد بن وليد بن عبد الحميد بن عوسجه الأنصاري، من أهل بجانه يكنى أبا عمر، وله رحلة إلى المشرق، ، وحدث بتاريخ ابن البرقي، عن أبي الحسن الصغير، وكان ينسب إلى اعتقاده بمذهب ابن مسرة، وهو أحد النفر الذين استتابهم محمد بن يبقى بن زرب القاضي، توفي سنة(476هـ/1083م)؛ ينظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 53.

[3] – رشيد بن محمد بن فتح الدجاج، من أهل قرطبة، يكنى أبا القاسم، سمع من أحمد بن خالد وقاسم وأحمد بن زياد، ورحل إلى المشرق حاجًا، ثم إلى مصر، وكان عارفًا بأمور الحديث جامعًا لآثار الكثير من الكتاب، وكان يهتم بمذهب ابن مسرة، توفي سنة(376هـ/986م) وصلى عليه القاضي محمد بن يبقى؛ ينظر: نفسه، ص 148،147.

[4] – أبان بن عثمان بن سعيد المبشر بن غالب بن فيض اللخمي، من أهل شذونة، ويكنى أبا الوليد، سمع من محمد بن عبد الملك ومن قاسم بن أصبغ وسعد بن جابر، وكان لغويا نحويا لطيف النظر جيد الاستنباط بصيرًا بالحجة، متصرفًا في دقيق العلوم وحسن الشعر، وينسب اعتقاده إلى مذهب ابن مسرّة، توفي سنة (377هـ/987م)؛ ينظر: نفسه، ص 23.

[5] – محمد بن أحمد بن حمدون بن عيسى بن علي بن سابق الخولاني، من أهل قرطبة ولد سنة(305هـ/917م)، يعرف ابن الإمام ويكنى أبا عبد الله، سمع من أحمد بن خالد وقاسم والحسن بن سعد وقاسم بن أصبغ ونظرائهم، وكان حافظًا للأخبار والأنساب عالمًا باللغة بليغًا لسنًا، ومشهورًا باعتقاده إلى مذهب ابن مسرّة، ولا يتستر بذلك، وكان مولعا بالتشريق في صلاته؛ أي إلى الشرق الفلكي، توفي سنة(380هـ/990م)؛ ينظر: نفسه، ص 93.

عبد الرحمن بن الحكم[1] وغيرهم، ولم يظهر أنهم غيروا شيئا من تعاليم شيخهم، ومن علاماتهم "التشريق" أي أنهم كانوا لا يولون وجوههم شطر مكة في الصلاة وإنما نحو الشرق الفلكي[2].

وظهر لأتباع ابن مسرّة خصوم، منهم الفقيه محمد بن يبقى بن زرب القاضي الذي ولي القضاء في قرطبة عند وفاة الخليفة الحكم المستنصر، وأبو بكر الزبيدي النحوي[3]، وأبو عمر بن لب الطلمنكي[4]، والذين تشددوا في مهاجمة آراء ابن مسرّة وأتباعه وخاصة بعد استشعارهم أن الخليفة الحكم المستنصر في آخر أيامه كان ميالاً إلى الأخذ بآرائهم واتباع أفكارهم، وظهر لديه الرغبة في التعرف على فلسفتهم والانصراف إلى الأعمال التي كان يقوم بها أتباع ابن مسرّة[5].

3 موقف المنصور بن أبي عامر:

وفي عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر أصبح وضع أتباع ابن مسرّة حرجًا جدًا لتظاهره بالحمية للدين، وحرقه الكتب التي تركها الفقهاء في مكتبة القصر أمام الناس ، وزادت الحملة على أتباع ابن مسرة الذين اضطروا إلى الهجرة، وكان منهم عبد الرحمن

[1]– عبد العزيز بن حكم بن أحمد بن الإمام محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، ولد سنة(310هـ/922م)، من أهل قرطبة يكنى أبا الأصبغ سمع من عبد الله بن يونس والحسن بن سعد وقاسم بن أصبغ وغيرهم، وكان عالمًا بالنحو والشعر مائلاً إلى الكلام والنظر، وشهد بانتحال مذهب ابن مسرّة، توفي سنة(387هـ/997م)؛ ينظر: ابن الفرضي، المصدر السابق ، ص 279.

[2]– بالنثيا، المرجع السابق، ص 330.

[3]– أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله الزبيدي النحوي (306–379هـ/908–989م)، وكان رجلاً مؤدباً جاداً للخليفة هشام المؤيد في صباه، وهو الذي علمه الحساب، وألف في النحو والتاريخ وكان شاعرا يميل إلى الحكمة والزهد، فيذكر الخوف من الله وخلود الروح وثواب الآخرة وعقابها؛ ينظر: نفسه، ص 64.

[4]– الطلمنكي أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن لب المقري، كان إمامًا في القراءات روى عنه أبو محمد ابن حزم، توفي سنة(420هـ/1029م)؛ الحميدي، المصدر السابق، ج2، ص 114.

[5]– بالنثيا، المرجع السابق، ص 330.

المهندس[1] الذي أودع السجن، وسعيد بن فتحون السرقسطي[2] الذي ألف مدخلا في الفلسفة سماه شجرة الحكمة، ولاحقوا ابن الأفليلي[3] وكان من ذوي العلم الواسع بالأدب وعلوم الدين والفلسفة، وأصاب تلاميذ ابن مسرّة الذين تعلموا منه وطبلوا تعاليمه مثلما أصاب أتباعه من فتك واضطهاد، ومنهم محمد شاعر بجانه[4]، وابن الخطيب الذي اتهم بالزندقة ولم ينج منها إلا بشق النفس[5].

وبالرغم من كل الاتهامات التي وجهت إلى ابن مسرّة وأتباعه إلا أن حركته ظلت قائمة ولها أتباعها، فقد ذكر ابن حزم أن أحد تلاميذها وهو إسماعيل بن عبد الله الرعيني[6] كان معتزلا في داره، وأهل بيته كلهم مسرّيين (أتباع ابن مسرّة)، ومن بينهم ابنته التي لقبها الناس المتكلمة[7].

وعمل الرعيني على التعديل على آراء أستاذه الأول ابن مسرّة، فقال: إنه شيخ الجماعة ينبغي أن يكون إماما سياسياً ودينياً لها، ودعا إلى إحاطته بالإجلال والتوفيق، وقال بنكاح المتعة وأن العالم لا يفنى أبدا بل هكذا يكون الأمر إلى النهاية. واستمر أتباع ابن مسرّة بتكوين جماعة حول منذر بن سعيد البلوطي، قاضي قرطبة وفقيهها المعروف(288-355هـ/886-966م)، وكانت هذه الجماعة تقول قول ابن مسرّة، وعرف عن ابن البلوطي

---

[1]- عبد الرحمن بن إسماعيل بن زيد المهندس (إقليدس الأندلس)، كان مهندسًا متقدمًا في علم الهندسة، معتنيًا بصناعة المنطق، وله تأليف مشهور في اختصار الكتب الثمانية المنطقية، رحل إلى المشرق في أيام الحاجب المنصور؛ ينظر: بالنثيا، المرجع السابق ، ص 450.

[2]- سعيد بن فتحون بن مكرم التجيبي، المشهور في نسبته إلى سرقسطة، كان متحققًا إمامًا في علم النحو واللغة، ولكن ثقافته العلمية المنطقية غلبت عليه، وفي أيام المنصور نالته محنة شديدة أدت إلى سجنه، ولما أطلق سراحه هاجر إلى جزيرة صقلية وتوفي فيها؛ ينظر: الكتاني، المصدر السابق، ص 304.

[3]- ابن الأفليلي إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري، يكنى أبا القاسم، كان متصدرا في علم الأدب والنحو واللغة ومعاني الشعر وأقسام البلاغة ، وله كتاب شرح فيه معاني شعر المتنبي؛ ينظر: الحميدي، المصدر السابق، ج2، ص 234-235.

[4]- منطقة تعرف بكورة عظيمة بإقليم المرية؛ ينظر: المقري، المصدر السابق، ج5، ص 254.

[5]- بالنثيا، المرجع السابق، ص، 330-331.

[6]- محمد عويضة، المرجع السابق، ص، 93.

[7]- بالنثيا، المرجع السابق، ص، 331.

بأنه كان معتزلياً، وتبعه أهله وابنه الحكم الذي كان شاعراً وأديباً وطبيباً وفقيهاً وعارفاً في أمور الدين، ونهج نهج ابن مسرّة سواء في الاعتزال أو التنسك بالأندلس في تلك الأيام التي عاش به[1].

واستمرت آراء ابن مسرّة بالظهور بعد وفاة الرعيني في الأندلس، وبقي من تكلم بآرائه وأفكاره، ومنهم: محمد بن عيسى الألبيري، وأبو المتصوف أبو العباس بن العريف[2]، وأخذ عن ابن مسرّة محيي الدين بن عربي، وعن طريقه انتقلت أفكار وآراء ابن مسرّة إلى المشرق، وأخذها بعض مفكري اليهود مثل ابن جبرول[3]، وغيره[4].

[1]– بالنثيا، المرجع السابق، ص 331.

[2]– أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله بن العريف الصنهاجي(481–536هـ/1088–1141م)، برز في مدينة المرية الأندلسية، درس على يد أتباع ابن مسرّة، وهو صاحب كتاب محاسن المجالس، الذي يبين فيه أصل طريقة صوفية جديدة كان لها الأثر الكبير على الطريقة الشاذلية؛ ينظر: نفسه، ص369، 370.

[3]– ابن جبرول سلومون بن يهوذا(411–462هـ/1021–1070م)، ويسميه المسلمون أبا أيوب سليمان بن يحيى، والنصارى أڤيسبرون، قرأ كتب فلاسفة العرب، وصقل ملكته بما فيها من الآراء والأفكار، ويعتبر أول فيلسوف يهودي ألف كتابا بالعربية، وسماه ينبوع الحياة، الذي يقتبس معظم مادته من أصل عربي، وكان يقلد فيه الشعراء العرب فيما كان ينظم من الشعر وبلغة العرب؛ ينظر: نفسه، ص 26.

[4]– نفسه: ص 331–332.

ثانيا: رد الفقهاء المالكية على حركة ابن مسرة:

لم يقف العلماء من ابن مسرّة واتباعه موقفاً سلبيا، بل كان ما اعتبروه من خروج طريقته عن طريق الفقهاء والقضاة المحافظة – داعيا أن يقفوا من دعوته وأتباعه موقفاً حذراً، تتبعوا صاحب الدعوة وأشياعه من بعده، ولعل ذلك ما نلمسه من خلال الوثيقة التي أنشأها عبد الرحمان الزجالي للخليفة الناصر(350هـ)[1] ، كما سبق وذكرنا فحواها، فصدى الوثيقة – رغم ما حوته من آراء ونظريات– سياسي، وغرضها كذلك ايضا.

لم تكن هذه الوثيقة وحدها هي العثرة التي وضعت في طريق المسرية، بل قد اعتنى بالرد على ابن مسرّة وتتبع أفكاره وتلاميذه بقية من أهل العلم، وهذا يعني أن ابن مسرّة قد تحول بفكره وكتبه الى ظاهرة استوقفت العلماء، مما يدل على خطورة شأنه وأثره.

ولقد دلف المترجمون والمؤرخون الى حصن ابن مسرّة، وتتبعوا في تراجمهم أتباعه ممّن حازوا العلم والشهرة في المجتمع فنسبوه إلى طريقته على سبيل الذم تارة أو البيان لما كان عليه تارة أخرى، كما اعتنوا بمن رد عليه أو ألف في الرد عليه، يبدو أن الفقهاء المالكية قد أدركوا منذ البداية خطورة المذهب المسرّي، وحاولوا الرد عليه والدعوة إلى مقاومته، ومن هذا المنطلق يمكن القول أن مذهب ابن مسرة شكل ثورة مذهبية بحق في الأندلس. إلا أن حملتهم هذه لم تتعد حد الاستنكار لتعاليمه واتهامه بالزندقة والإلحاد، فألفوا في الرد على آرائه، كما رأينا من قبل مع الفقيه أحمد بن خالد المعروف ب "الحباب"[2].

ولقد اعتبر المترجمون الرد على ابن مسرة وأشياعه من مآثر من يترجمون لهم، ففي ترجمة ابن زرب(381هـ) يذكر النُباهي(792هـ): " اعتنى بطلب أصحاب ابن مسرة،

[1]– ابن حيان، المصدر السابق، ص 25؛ ينظر: ينظر: نص الوثيقة في الملحق رقم (05).

[2]– فاطمة الزهراء جدو، المرجع السابق، ص 28.

والكشف عنهم، واستتابة من علم أنه يعتقد مذهبهم؛ وأظهر للناس كتابًا حسنا وضعه في الرد على ابن مسرة، وكان سنة(350هـ)، استتاب جملة جيء بهم إليه من اتباع ابن مسرة؛ ثم خرج الى الجامع الشرقي، وقعد هناك؛ فأحرق بين يديه ما وجد عندهم من كتبه وأوضاعه؛ وهم ينظرون اليه في سائر الحاضرين."[1] ، وكان ابن زرب قاضي الجماعة.

1/ رد ابن زرب على ابن مسرة وأتباعه:

على ما ذكر ابن فرحون(799هـ)[2] في ترجمته، وقد بالغ في الثناء عليه فقال: " كان ابن زرب أحفظ أهل زمانه لمذهب مالك، وكان القاضي ابن السليم يقول له: لو رآك ابن القاسم لعجب منك"[3]، ولما مات ولي مكانه قضاء الجماعة سنة الى أن مات، قال: (وله رد على ابن مسرّة) ، وابن زرب كان من كبار القضاة وخطباء المنابر بالأندلس، وُلي القضاء بقُرطبة سنة(367هـ) في أيام المؤيد الأموي هشام[4].

---

[1]– النُباهي أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي، تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ/ 1983م، ص 78.

[2]– ابن فرحون برهان الدين إبراهيم اليعمري، تولى قضاء المدينة المنورة، من مؤلفاته، الديباج المذهب، وتبصرة الحكام، توفي سنة(799هـ)؛ ينظر: القرافي بدر الدين محمد بن يحي بن عمر، توشيح الديباج، تحقيق: الدكتور علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1425هـ/2004م، ص 23.

[3]– عبد الرحمن بن القاسم، عالم الديار المصرية، صاحب الإمام مالك، روى عن مالك، وروى عنه: أصبغ، والحارث بن مسكين، وسحنون، وابن عبد الحكم، توفي سنة(191هـ)؛ ينظر: القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، مطبعة فضالة، المغرب، 1402هـ/1982م، ج3، ص244.

[4]– الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: أكرم البوشي، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ/1969م، ج16، ص 411.

وقد اعتبر رد ابن زرب على ابن مسرّة من مآثره التي حرص المترجمون على إبرازها، فقد ذكر ذلك القاضي عياض في ترتيب المدارك[1]، والذهبي في سير أعلام النبلاء[2]... وغيرهم.

وممن اعتنى بالرد على ابن مسرّة ايضًا: عبد الله بن محمَّد بن نصر بن أبيض، أبو الحسن الطليطلي النّحوي[3]، ومنهم أيضا أبوبكر محمَّد بن الحسن الزبيدي الإشبيلي النحوي (379هـ) صاحب طبقات النحويين، قال السيوطي: " له كتاب الرد على ابن مسرّة وأهل مقالته، سماه: هتك ستور الملحدين[4]. وواضح من عنوان الكتاب ما كان يراه بعض العلماء في أفكار ابن مسرّة وموقفهم منها، وأبو عمر الطلمنكي(429هـ) أول من أدخل علم القراءات الى الأندلس، ذكر القاضي عياض في ترجمته- ضمن كتبه – كتابًا في: الرد على ابن مسرّة[5]، ومنهم أيضا عبد الله بن محمَّد بن نزار، قال ابن بشكوال: جمع كتابًا في الرد على محمَّد بن عبد الله بن مسرّة، أكثر فيه من الحديث والشواهد وهو كتاب كبير حفيل[6].

لقد حاصر فقهاء الأندلس ابن مسرّة، وحاصروا أفكاره وآراءه حتى انزوى الى الجبل، حتى سُمي ابن مسرة الجبلي، فابن بشكوال(578هـ) يقول في عبد الوهاب بن منذر (436هـ): نسب الى مذهب ابن مسرّة الجبلي[7]، وكذلك ابن الآبار(658هـ) يقول في أحمد بن غانم: (رحل مرافقًا أبا عبد الله بن مسرّة الجبلي)[8] ، والمراكشي(647هـ) يقول في ترجمة عون بن

---

[1]- القاضي عياض ،المصدر السابق، ج7، ص 115.

[2]- الذهبي، المصدر السابق، ج16، ص 411.

[3]- السيوطي، المصدر السابق، ج2، ص 60.

[4]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص 372، 373.

[5]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج7، ص 39.

[6]- ابن بشكوال خلف بن عبد الملك بن مسعود، كتاب الصّلة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني، 1410هـ/1989م، مج1، ص 276.

[7]- نفسه، ص 26.

[8]- ابن الآبار، المصدر السابق، ج1، ص 14.

يوسف:" طليطلي سكن قرطبة؛ صحب ابن محمد بن مسرّة الجبلي "[1]، وبهذا انزوت المسرية وتيارها الجارف الضارب في عمق المجتمع.

ونختم بترجمة قدمها معاصر قريب لابن مسرّة من باب وضع الحقيقة كاملة قيد البحث. إذا كان ابن مسرّة قد لقي معاناة في نشر آرائه الفكرية والعقدية والسلوكية، وهو ما يستنتج من كلام من ترجم له، فقد كان خليقا بابن حارث الخشني المتوفى تقريبا سنة(361هـ)، وهو أقرب مصدر لعصر بن مسرّة، ومن خلاصة ما قاله ابن حارث الخشني في ترجمته قوله:" كان مذهب محمَّد بن مسرّة في عمله الزهد والانقباض، وفي علمه النظر والاستنباط، تصرف في العلوم تصرف الحاذق ونظر فيها نظر الماهر، وألف في تصحيح الأعمال على مذهب التقى في محاسبة النفوس على حقيقة الصدق، وفي التنبيه على وجوه المداهنة وأبواب المخادعة على معنى الكشف والتفريع كتبا كثيرة، مشاكلة لكلام المتقدمين من أهل العلم الباطن ككلام ذي النون الإخميمي، وأبي سعيد الإسكافي ونظرائهما من أهل ذلك العلم، وكتبه لمن تأملها تشهد له بمطالعة غير ما علم من العلوم "[2].

قال محمد: " والنّاس في ابن مسرّة فرقتان: فرقة تبلغ فيه مبلغ الإمامة في العلم والزهد، وفرقة تطعن عليه بالبدع لما ظهر من كلامه في الوعد والوعيد، ولتأويله في آي القرآن وكتب السنن، ولخروجه عن العلوم المعلومة بأرض الأندلس الجارية على مذهب التقليد والتسليم"[3]. هذا غاية ما ذكره ابن حارث فيه، فلم يعرض لكونه تشرب فكر المعتزلة الذي عرض له ابن حزم من بعده، وكلامه ليس فيه كبير لوم عليه، وترجمته له ضمن الفقهاء والمحدثين تعني أنه لم يعب عليه كثيرا مما كان عليه.

[1]– المراكشي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس– الدكتور محمد بن شريفة– الدكتور بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2012م، ج3، ص 403.

[2] محمد أحمد عبد المطلب عزب، المرجع السابق، ص 273.

[3]– الخشني، المصدر السابق، ص 178.

2/ رد أهل العلم من المشارقة:

لم يكن فكر ابن مسرّة – الذي هو وليد البيئة الأندلسية– مقتصرًا عليها، ولغطه الذي أحدثه داخلها محدودًا بالبحر لا يتجاوزه، بل إخال أن الرحلات العلمية التي لا تتوقف، ورحلات الحج المتواصلة قد أتاحت لهذا الفكر أن ينتشر، ويتجاوز البيئة التي ترعرع فيها، ويدل على ذلك أن جماعة من أهل المشرق ربما وصلت لهم أفكار ابن مسرّة أو أظهر أتباعه بعضها، مما حدا ببعض أهل العلم أن ينبروا للرد عليها وعلى أصحابها.

يقول ابن الفرضي(403هـ): " وكان له (ابن مسرّة) لسان يصل به إلى تأليف الكلام وتمويه الألفاظ وإخفاء المعاني، وقد رد عليه جماعة من أهل المشرق منهم: أحمد بن محمّد بن زياد الأعرابي(340هـ)[1] وأحمد بن محمّد بن سالم التستري [قال]: ولأحمد بن خالد في الرّد عليه صحيفة أخبرنا بها عنه أبو محمد الباجي[2].

3/أثر فكر ابن مسرة على حركة العلوم الفلسفية في الأندلس:

ونتيجة لما سبق فقد أحدثت آراء ابن مسرة صدىً خطيرا في الفكر و العقيدة لدى بعض الأندلسيين مما دفع العلماء و الفقهاء إلى الرد عليها باعتبارها بدعًا ووساوس جديدة، و قد ظلت آراء مدرسة ابن مسرة الباطنية باقية ملموسة زمنا طويلا و أصبحت المرية مركز الصوفية بالأندلس. و كان لهذه المدرسة أثرها السلبي على حركة العلوم الفلسفية في الديار الأندلسية، حيث أعتبر أن كل من يتعاطى الفلسفة متهما بالكفر و الإلحاد، و منذ ذلك أصبحت الفلسفة تذكر ضمن الاتجاهات العقلية كنزعة غريبة عن الدين و مناهضة له، فيعد ابن مسرة من المجتمع عزلا للدراسات الفلسفية نفسها عن الناس بتلك الديار، و من هنا كان نتيجة ذلك أن ظل عدد الذين تعمقوا في دراسة الفلسفة من المسلمين قليلا جدا، و لم يقم بينهم أساتذة تلتف حولهم طائفة كبيرة من الطلبة، و كان يندر أن تقام المدارس العلمية التي

[1]– ابن نقطة، المصدر السابق، ص 189، 190.

[2]– ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص 688.

تدور فيها مناقشات في مواضيع فلسفية، و كان على المفكر المشتغل بها أن يشعر بوحشة و وحدة كبيرة[1].

لهذا فان كل المشتغلين بالتفلسف و المهتمين به كانوا يلاقون عنتا و صعوبة، يصف لنا ذلك المقري بقوله:" و كل العلوم لها عندهم حظ إلا الفلسفة و التنجيم فإن لهما حظا عظيما عند خواصهم، و لا يتظاهر بهما خوف العامة، فإنه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أطلقت عليه العامة اسم زنديق، و قيدت عليه أنفاسه، فإن زل في شبهة رجموه بالحجارة أو أحرقوه قبل أن يصل أمره إلى السلطان، و كثيرا ما يأمر ملوكهم بإحراق كتبه إن وجدت[2].

كذلك نجد شهادة على هذا من أحد أهم المشتغلين بالفلسفة بتلك البلاد، و أهم من تحدث عن ظهورها هناك و هو الفيلسوف ابن طفيل[3] حيث يقول:" إن هذا الأمر – يعني الفلسفة– أندر من الكبريت الأحمر و لا سيما في هذا الصقيع – يعني الأندلس– الذي نحن فيه، لأنه من الغرابة في حد لا يظهر باليسير منه إلا الفرد بعد الفرد، و من ظفر بشيء منه لم يكلم الناس إلا رمزًا[4].

كما أثر فكر ابن مسرة تأثيرا كبيرا في بعض العلماء و في كثير من العامة، و أثر حتى في الأقليات اليهودية و النصرانية المقيمة ببلاد الإسلام[5]، ووصل تأثيرها إلى سبتة حيث سنجد تشكي و تبرم ابن خمير[6] ، حيث أن المدرسة الصوفية بسبتة عرفت اتجاهين أساسيين في مسارها و في نشأتها، اتجاه حاول المحافظة على الطابع السني لزهده و تقشفه. أما

---

[1] – الفيومي محمد ابراهيم، المرجع السابق، ص 23.

[2] – المقري، المصدر السابق، ج1، ص 221.

[3] – هو محمد ابن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي، أبو بكر (494هـ–581هـ): هو فيلسوف ولد في وادي قرب غرناطة و تعلم الطب في غرناطة عاش ايام الموحدين توفي بمراكش؛ ينظر: الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك ، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط – تركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ/2000م، ج4، ص 30.

[4] – ابن طفيل، حي بن يقظان، تحقيق و تعليق: أحمد أمين، د. ط، دار المعارف، مصر، 1950م، ص 61.

[5]– الحابري، المرجع السابق، ص 173.

[6]– هو أبو الحسن علي بن أحمد بن خمير عربي أموي ولد في أواسط القرن السادس الهجري وتوفي سنة(614هـ/1217م)؛ ينظر: جمال علال البختي، المرجع السابق، ص 44.

الاتجاه الثاني فقد انتهج نهج المدرسة الفلسفية الباطنية، و اقتبس الكثير من آراء مدرسة الأندلس الغنوصية الإشراقية التي عرفت بدايتها مع ابن مسرة و مع تلميذه الرعيني.[1]

خلاصة لما سبق تقديمه عن موقف السلطة و الفقهاء من مذهب ابن مسرة و تأثيره على العلوم الفكرية و الفلسفية في الأندلس، نرى أنه لم يكن مصير فلسفة "ابن مسرة" التصوفية بأفضل حال ممن سبقه، أو أتى بعده، من المجددين في الفكر الاسلامي كالمعتزلة و زنادقة الزهاد (كما كانوا يسمون) و المتصوفة الشاطحين؛ فلقد أحرقت كتبه أو أهملت كما أسيء فهمه من قبل معظم – إن لم يكن جُل– من كتبوا عنه و عن مدرسته. و للمفارقة إنهم في الوقت الذي أنصفوه، فوصفوه بالورع و الزهد و التنسّك انتهى بهم الأمر إلى وصف أفكاره بالغرابة والمروق عن عقائد الملة الإسلامية، فهذا ما نجده عند "ابن حزم"، و "صاعد الأندلسي"، و "القفطي"، و "المقدسي"، و "الحميدي"، و "الشهرستاني"، إذ تضاربت و تناقضت اقوالهم عنه، و لكن يظل عزاؤه أنه طرق بابًا غير مألوفًا و ارتاد أرضًا وعرة لا يرتادها إلا المجدد الجريء الذي تسامت به تجربته الصوفية من مصاف الحس الظاهر المقيد إلى مراقي الإحساس الباطني الدفين.

[1]– جمال علال البختي، المرجع السابق، ص 123، 124.

خاتمة

خاتمة:

وبعد... فأرجو أني قد وصلت إلى ما يخدم ما استهدفت، بأن حقق هذا البحث كشفًا للثام عن جوانب عديدة للحركة المسرية في الأندلس، ، ودراسة لشخصية زعيمها ابن مسرة الجبلي، وما خلف من الآثار على حركة العلوم الصوفية الفلسفية في الأندلس.

وأختم ما سبق بتلخيص أهم النتائج التي وصلت إليها من خلال هذا البحث، وهي:

- ✓ التزمت بلاد الاندلس مذهب الامام مالك بن أنس ليكون الفكر أو المذهب العام و الرسمي للدولة بعد استقرارها خلال عصر الولاة، وعصر الخلافة وكان الامراء والخلفاء يهتمون بالعلم كما هو الحال بالأمير الحكم الاول (180-206هـ)، والخليفة الحكم المستنصر (350-366هـ).
- ✓ تأثُر ابن مسرة بفكر والده و مرافقته في رحلاته، سواء من أجل التجارة أو من أجل الحصول على العلم، و من أهم أفكاره اتباعه لمذهب المعتزلة.
- ✓ تأثر ابن مسرة بأفكار علماء المشرق و آرائهم من خلال استماعه و مصادقته لهم.
- ✓ إخفاء آرائه و أفكاره التي علمها لتلاميذه و أتباعه من خلال اعتزاله حياة الناس و السكن في معتزل له بجبل قرطبة، حيث ان العمل السري كان سببا في انتشار الفكر الصوفي في بلاد الأندلس.
- ✓ تمتع ابن مسرة في بداية حياته بمكانة عالية و مرموقة عند الخليفة عبد الرحمن الناصر، كانت لا تقل أهمية عن مكانة أهل الحديث و الفقهاء، لأنه كان يتصف بمتانة و قوة في الحجج و قدرة على الاقناع لمن يتردد عليه، و تمكن من إبقاء أفكاره حية في نفوسهم و عقولهم، ثم نشروها بعد وفاته.

- ✓ تبدل موقف الخليفة الناصر من المؤيد لفكر ابن مسرة، الى ملاحقة أتباعه، بسبب تشددهم في نشر أفكاره، و أمرُهُ بتوجيه الكتب الرسمية إلى مختلف أنحاء الأندلس متضمنة التنديد بأفكار ابن مسرة، و ملاحقة أتباعه و إقامة الحد عليهم و أمرُهُ بقراءتها على المنابر.
- ✓ لم يظهر على حركة ابن مسرة أي توجه سياسي بالرغم من أنها عاصرت ظروفًا و أحوالاً سياسية سيئة، تمثلت في قيام العديد من الثوراة الداخلية، التي أثرت على النواحي الاقتصادية و الاجتماعية في الأندلس.
- ✓ ساهمت الحرية الفكرية و الدينية في عهد الخليفة الحكم المستنصر في السماح بنشر أفكار ابن مسرة و آرائه، مما أدى الى ميل الخليفة الحكم لمثل هذه الأفكار و الآراء، و اتباعها في بعض الاحيان.
- ✓ نجاح ابن مسرة في تكوين مدرسة مسرية، لها أتباعها ومريدوها وتعاليمها الخاصة بها، ما
- ✓ أدى بكل من الفقهاء المالكية ومن ورائهم السلطة الأموية لمحاربة أفكاره، خاصة بعد وفاته سنة 319هـ، إذ اشتدت وطأتهم على تلامذته بتتبعهم بالمطاردة والملاحقة والاعتقال، لكن هذا لم يشف غليل الفقهاء من ابن مسرة وجماعته، لهذا عمدوا إلى إرغام المنصور بن أبي عامر على إحراق كتبه، والتي تعتبر البداية لتقليد رسمي سيستمر في فترات لاحقة مع سلطات جديدة ومفكرين جدد. ورغم العداء الشديد الذي تعرضت له المدرسة المسرية، فإن ابن مسرة مع ذلك ينفرد بكونه من أوائل المتصوفة الذين حاولوا التأصيل للتصوف الأندلسي، وإقامة مدرسة أندلسية صوفية الأصول والفروع معا، بعيدة عن أي تقليد مشرقي، وسيكمل مساره هذا من جاء بعده من المتصوفة كابن العريف وابن برجان، وابن عربي، حيث تعتبر أفكارهم وتوجهاتهم استمرارا للمدرسة المسرية.

- ✓ أن هناك ثلاث نقاط رئيسية تجمع فكر ابن مسرة بالفيلسوف اليوناني "أمباذوقليس الأكراجاسي" هي:
- ✓ أولا: إن فكر ابن مسرة هو امتداد طبيعي لحركة التوفيق بين الدين و الفلسفة.
- ✓ ثانيا: الاستغراق في التجربة الروحانية هو ما لفت "ابن مسرة" إلى أفكار "أمباذوقليس" الذي كلف به ابن مسرة كما تروي كتب المؤرخين للفكر الاسلامي.
- ✓ ثالثا: أن ابن مسرة جدد آراء "أمباذوقليس" التي نجدها و قد امتزجت عنده بالأفلاطونية بعد أن نقاها ابن مسرة من مصطلحها الأرسطوطاسيلي، كذلك مع الإشراقية و الباطنية و فكر إخوان الصفا، لتشكل محاور ثلاث في فكر ابن مسرة هي: الأمباذوقلية، و الاعتزال، و التصوف .
- ✓ انتشار المدرسة الصوفية في اكثر مدن الاندلس منها مدرسة المرية التي التزمها ابن العريف كما هو مذكور في اعلاه.
- ✓ ابتداء من القرن(4هـ/10م)، يتحول تيار الزهد إلى تيار صوفي معتدل تركزت جل اهتماماته على خدمة القضية الأندلسية من خلال المرابطة بالثغور، في مقابل ذلك نلحظ بروز توجه جديد مساير للتوجه الزهدي، لكنه مختلف عنه من حيث بنيته الباطنية ممثلا في شخصية ابن مسرة القرطبي، الذي اتخذ من النسك والعبادة غطاء لتمرير أفكاره الدخيلة على الوسط الأندلسي، والتي صاغها في مذهب جديد مزج فيه بين الاعتدال والمبادئ الباطنية، وأذواق الصوفية ومواجيدهم، وكأنه حاول أن ينظر لمدرسة صوفية أندلسية بعيدة عن التقليد المشرقي الذي انتشر في الأندلس خاصة على العهد الأموي.

الملاحق

ملحق رقم: (1) واجهة كتاب رسالة الاعتبار لابن مسرة

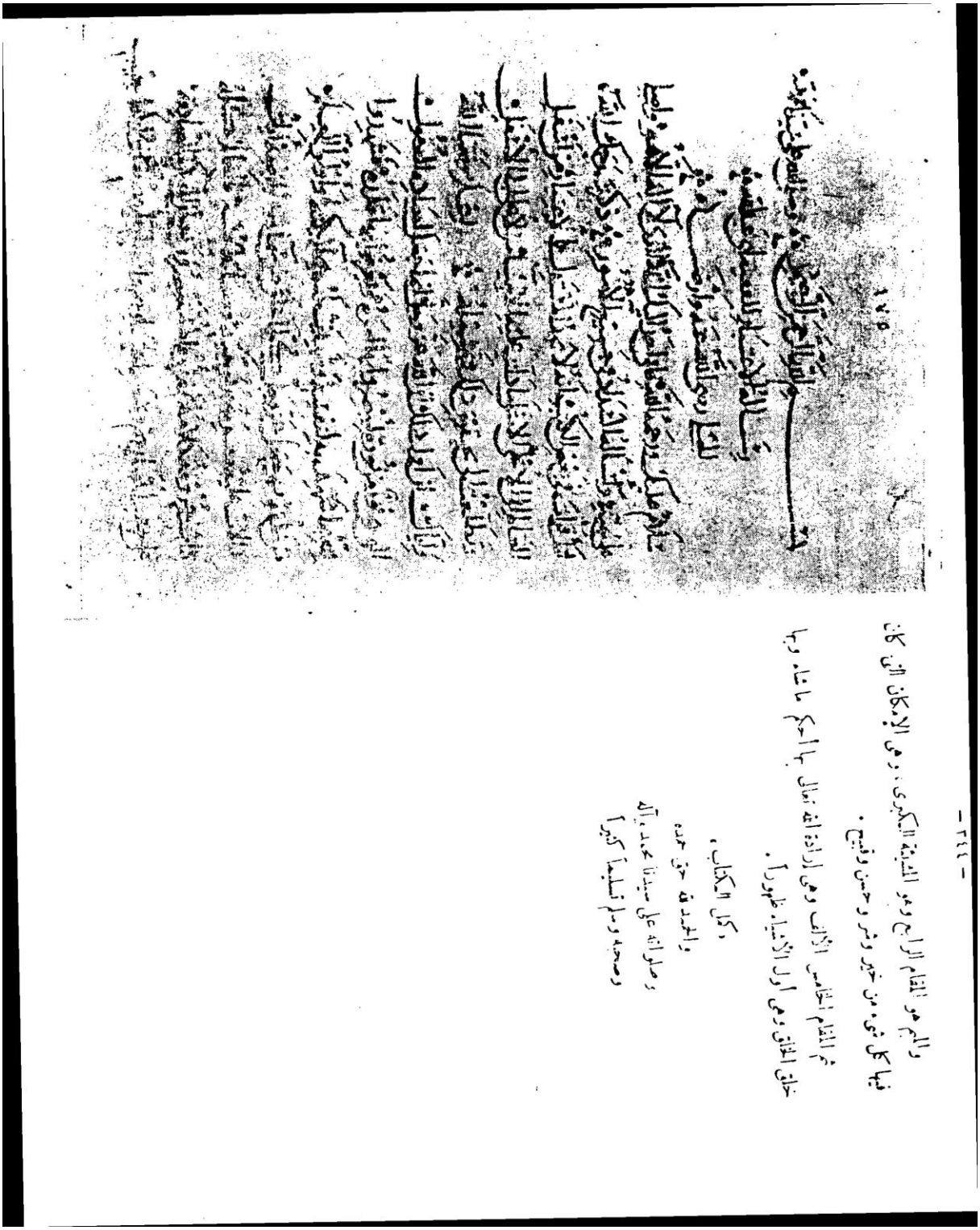

James W. Mourris, Ibn Masarra: A reconsideration of the Primary Sources, Arabic 244, Dr. Muhsin Mahdi, 1973.

ملحق رقم: (2) تفسير حروف الآيات القرآنية عند ابن مسرة في كتابه

وحدث من هذه الأشياء العرش والكرسي والجنة والنار والسموات
السبع والأرض والبحار والملائكة والجن والإنس والحيوان والنبات .

القول على طسم وطس

أما طسم وطس فمعناها : وحق طور سينا ؛ إعظاما له ، لأنه الموضع
الذي أظهر الله فيه كلامه ؛ ومن قبله صدر الوحي إلى كل نبي ، ولذلك
قال النبي ﷺ « أعطيت الطواسين من ألواح موسى »(١) . وكذلك في
السور الثلاث التي في أوائلها طسم وطس ، فبها بدايات بسيرة خبر موسى
وطور سينا .

فمعنى الطاء كما قلنا : طور ، ومعنى السين : سينا ، ومعنى الميم : موسى .
وقيل معناه : أنه أقسم بالطين الذي خلق منه آدم عليه السلام ، وجميع المخلوقات
التي في الأرض . والسين : قسم « بالسموات » كما قال : « وفوقكم
السماء والأرض »(٢) . وقيل إن الطواسين وطه إنما كانت أربعة أقسم الله
بها في هذه الأربعة مواضع ، لأن نزول أمره تبارك وتعالى كان على
أربعة أنبياء ، ومع معدن النبوة نزل أمره أولا على إبراهيم ، وكان نزول
الأمر وظهوره إلى الطور ، وأفضى إلى إبراهيم ، وأخذ منه صفته
وهو معنى قوله « طه » الطاء : طور ، والهاء إبراهيم ونبوته ، ثم نزل بعد
ذلك إلى الطـــور على موسى ، وهو معنى قوله ، وقد فسرناه . والميم : موسى ،
ثم طين . فالطاء كناية عن الطور كما قلنا ، والسين عن عيسى ، ونبوته ،
ثم طسم وهو نزول الأمر وإفضاؤه إلى محمد ﷺ وعلى جميع النبيين ،
والميم كناية عنه .

(١) لم أعثر لهذا الحديث على مصدر موثق .
(٢) الذاريات : ٢٢

القول على هم عسق

معنى الهاء : الحق ، وهو الاسم الذي خلق الله به السموات السبع .
وهذا الاسم ينقسم على سبعة أسماء ، كل اسم منها حال في سماء وأرض بعملها
ويحكمها ويقيمها إلى الأجل المعلوم في العلم المكنون . ولذلك كانت
الحواميم سبعاً ، كناية عن هذه الأسماء السبعة والسموات السبع . ودليل
ذلك قوله « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق »(٣) .
والميم كناية عن الملك ، لأن له تعالى في كل سماء وأرض قوة ملكة قاهرة ،
وحفظاً قائماً ، ولولا ذلك لما ثبتت السموات والأرض . ولذلك قيل إن
له في كل سماء كرسياً ، ولذلك قال تعالى : « قوله الحق (٤) وله الملك » ،
فثبت كل شيء مما في السموات والأرض إنما هو بهاتين الصفتين :
الحق والملك .

وقد نجد ذلك ظاهراً في الملائك والمراتب وجميع الأشياء المحسوسة ،
فإن الملك إنما يقوم بالحق - أعني أن يكون الملك قاهراً قادراً
عدلاً مستعملاً للحق والعدل (وجيهاً) لا قدرة به ولا استطاعة فسد ملكه ،
وأهلك رعيته ، كما أنه لو كان ذا قوة واستطاعة ولم يكن له عدل ولا حق
أفسد ملكه ، وأتلف ماشيته .

وكذلك الإنسان : جعل الله فيه مائتين وثلاثين عرقاً لتكون صلاحاً له في
حياته وبعد مماته ، فجعل فيه من قوة ملكه ما يقدر به على ملك جسمه وثقله
(لعلها وعقله) وضبط أعضائه ، وهي الروح الحيواني الحامل لجسمه ،
وجعل فيه من الحق وهو النور ، وهو الروح الذي نفخ في آدم . والدليل

(١) ل الأصل : الذاريات
(٢) الحجر : ٨٥ ، الدخان : ٢٨

Lbid,P 336.

ملحق رقم: (03) تفسير حروف الآيات القرآنية عند ابن مسرة في كتابه

Lbid ,P 318.

ملحق رقم: (04) تفسير حروف الآيات القرآنية عند ابن مسرة في كتابه

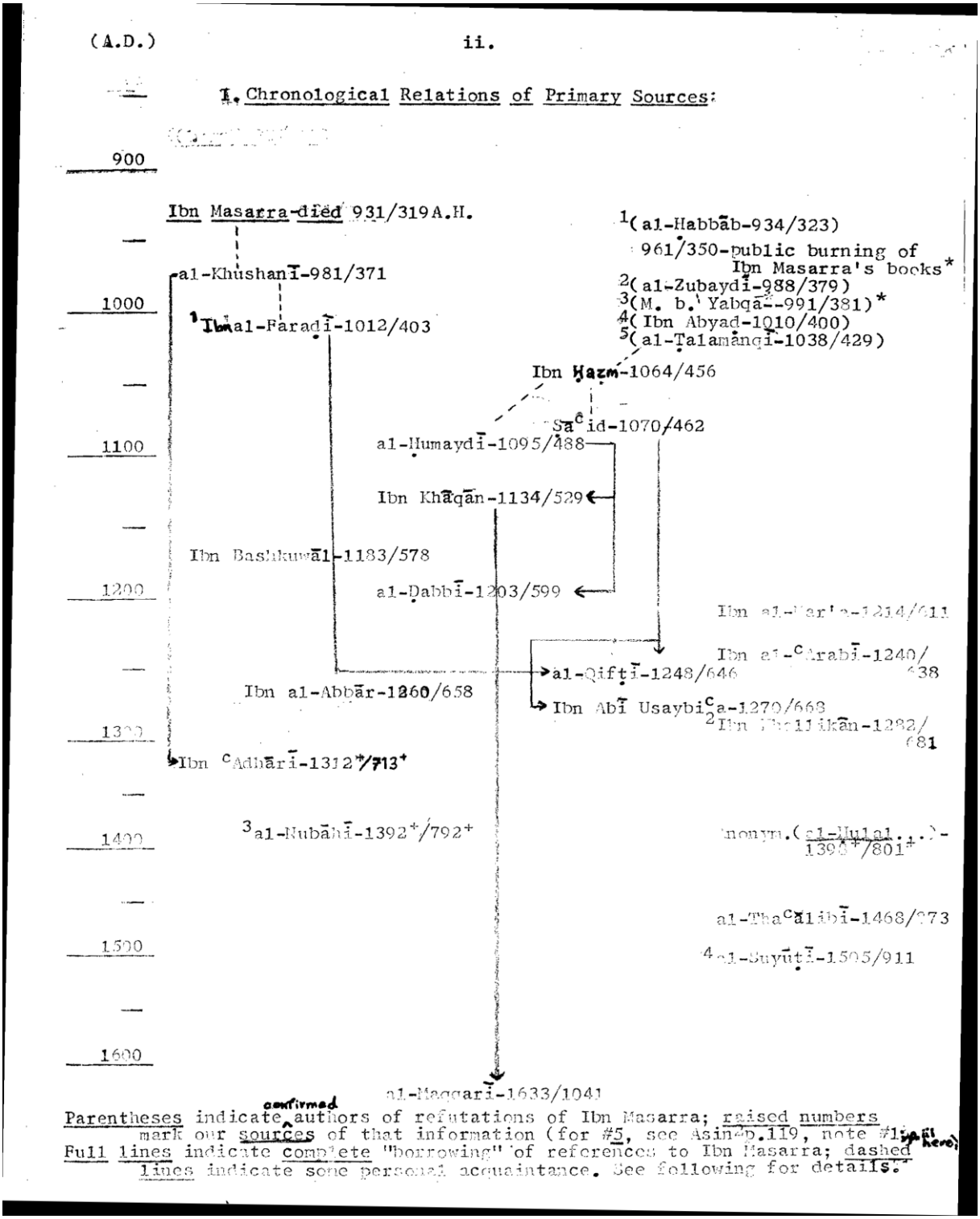

Lbid,P 115.

ملحق رقم: (05) تفسير حروف الآيات القرآنية عند ابن مسرة في كتابه رسالة الاعتبار

Lbid,P 346.

ملحق رقم: (06) تفسير حروف الآيات القرآنية عند ابن مسرة في كتابه رسالة الاعتبار

٢ – رسالة الاعتبار *

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد نبيه
رسالة الاعتبار للفقيه أبي عبد الله الجليل
رضي الله عنه وأرضاه

سلام عليك ورحمة الله ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأصلي
على نبيه ، وأسأله السداد في جميع الأمور .

ذكرت – رحمك الله – أنك قرأت في بعض الكتب أنه لا يجد المستدل
بالاعتبار من أسفل الفناء إلى الأعلى إلا مثل ما دلت عليه الأنبياء من الأعلى
إلى الأسفل ، وتطلعت إلى تحقيق ذلك وتأمله .

اعلم – وفقنا الله وإياك – أن أول ذلك أن الله عز وجل إنما جعل
لعباده العقول التي هي نور من نوره ، ليبصروا بها أمره ، ويعبروا بها
قدره فيشهدوا الله بما نبههم له لنفسه ، ونبهت له به ملائكته . وأولو العلم
من خلقه ، ثم جعل – عز وجل – كل (١) ما خلق من سمائه وأرضه آيات
دالات عليه . معربة بروبيته ، وصفة الحسنى ، فالعالم كله كتاب . حروفه
كلامه ، يقرأ المستبصرون بنور الفكرة الصادقة على حسب إبصارهم وسعة
اعتبارهم . وأبصار القلوب تتفاوت في الأعاجيب المتكونة المتكثرة فمن رأى(ب) العمور عن تأوي ، ونزل عن ذكرنا ولم يرد إلا
الحياة الدنيا ، فهي مبلغ علمه ، ومنال فكره ، ومنتهى همته . فلا يجاوز

* ملاحظة : نبدأ الرسالة من ص ١٢٠ من المخطوط ، عابد ، .
(١) في المخطوط ، كل ، .
(ب) المخطوط : يرى .

(ج) مج : السماء .
(١) الأعراف : ٥٤
(٢) آل عمران
(٣) نفس المصدر
(٤) الرعد : ٢
(٥) النحل : ٨٤

Lbid,P 348.

ملحق رقم (07): سند ابن العريف للتصوف

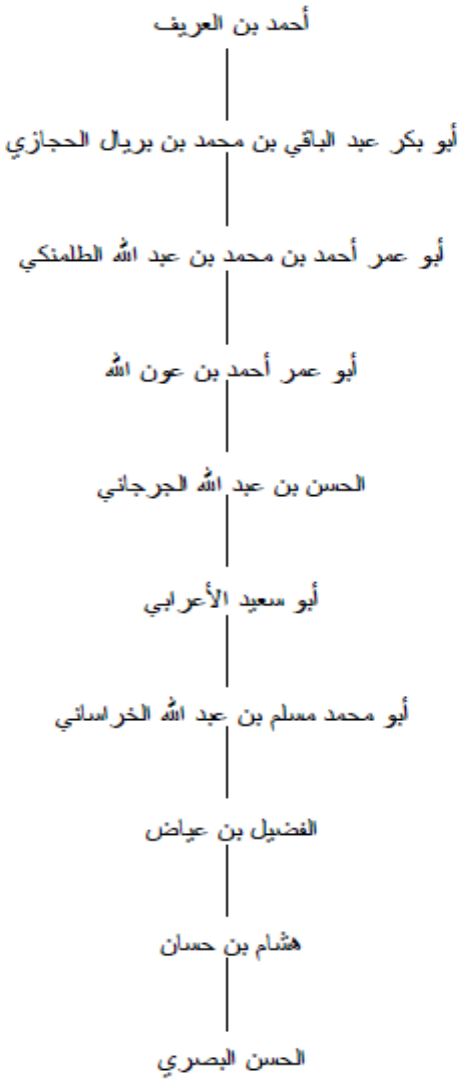

فاطمة الزهرة جدو: المرجع السابق، ص 154.

ملحق رقم (08): كتاب الخليفة الناصر لدين الله بشأن حركة ابن مسرة

(منقول عن السفر الخامس من كتاب المقتبس لابن حيان وهو المخطوط المحفوظ بالخزانة الملكية بالرباط لوحات 13 و14 و15)

«وأنفذ الخليفة الناصر لدين الله إلى آفاق مملكته بشأن هؤلاء المبتدعة (يعني تلاميذ ابن مسرة) كتابا طويلا قرئ عليهم بأمصارهم، من إنشاء الوزير الكاتب عبد الرحمن بن عبد الله الزجالي نسخته:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن الله تعالى جدّه، وعزّ ذكره، جعل دين الإسلام أفضل الأديان، فأظهره وأعلاه، ولم يقبل من عباده غيره، ولا رضي منهم سواه، فقال في محكم تنزيله: «ومن يبتغ غير الإسلام دينا، فلن يقبل منه...» الآية، وقضى في محتوم أمره ونفاذ حكمه، أن تنسخ به الديانات، ويختتم برسالته الرسالات، فبعث محمدا خاتم النبيين وأكرم الأكرمين، وأعز الخلائق على رب العالمين، بأن كتب الصلاة والسلام عليه في عرشه قبل أن يخلقه، واصطفاه لأمانته قبل أن يكونه، وأرسله بأفضل دين سماه حنيفا إلى خير أمة اختارها... كما قال عزّ من قائل، إذ عرفنا ما فضل ما هدانا إليه من الدين، وكرمنا به على سائر الأمم: «كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر...» الآية، فله جل جلاله، وتقدست أسماؤه، الشكر على خصائص هذه الفضيلة، والحمد بالمنة الجليلة، فقد استنقذ من الغواية وهدى، فأحسن الهداية وأبان الحجة، وكفانا بواضح المناهج مؤنة الفكرة، ونظم زمام الأمور، وجمع وجوه السعادة العاجلة، والنجاة الآجلة في تأليف الجماعة، واجتبا فيهم، حيث يقول عز وجل لنبيه ρ ... به وبعباده المخصوص بهداه، ورأفة بسطها على خير... وإعلاما له... بتواصل الدين من قبله لأنبيائه... وكراهته لاختلافهم بعد رسول الله ρ: «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا، والذين أوحى إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه...» الآية. فخوف وحذر، ونهى عن افتراق الكلمة، ونبه على البعد وتقى الله الخبيث عنها، وفضلها على سائر البلدان، واستقر فيها الدين، كهيئته يوم أكمله الله لعباده. ولما استوسقت الطاعة وشملت النعمة، وعمّ الأقطار، بعدل أمير المؤمنين، السكون والدعة، طلعت فرقة لا تبتغي خيرا، ولا تأثر رشدا، من طغام السواد، ومن ضعف آرائه، ومن خشونة الأوغال، كتبا لم يعرفوها ظلت فيها حلمه، وقصرت عنها عقولهم، وظنوا أنهم فهموا ما جهلوا، وتفقهوا فيما لم يدركوه، واستولى عليهم الخذلان، وأحال عليهم بخيله ورجله الشيطان، فزينوا لمن لا تحصيل لهم، ولقوم آمنين

لا علم عندهم، فقالوا بخلق القرآن واستيأسوا، وأيسوا من روح الله، ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، وأكثر الجدل في آيات الله، وحرموا التأويل في حديث رسول الله ρ، فبريت منهم الذمة لقوله تقدست أسماؤه: ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون، الذين كذبوا بالكتاب وما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون، إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون. فهذا أبلغ الوعيد، وأفضع النكال لمن جادل في الله بغير علم ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق...». ثم تجاوزوا في البهتان، وسدوا على أنفسهم ألوان الغفران، فأكذبوا التوبة وأبطلوا الشفاعة وتالوا محكم التنزيل وغامض متن التأويل بتقدير عقولهم: فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقول آمنا به كل من عند ربنا، وما يذكر إلا أولوا الألباب. فصاروا بجهل الآثار وسوء حمل الأخبار إلى القدح في الحديث، وترك نهج السبيل، فأساؤوا الفهم عن العوام، وأقدموا بمكروه القول في السلف الصالح، واستبدلوا على نقله الحديث، ووضعوا من الكتب لوضعها، وتابعوا شهواتهم فيها، وتتابعوا فيما... وورطهم، ورأوا التخضع وحشة بحثها لازم الضلالة، وداعية الهلكة، والشذوذ عن مذهب الجماعة، من غير نظر نافذ في دين، ولا رسوخ في علم، حتى تركوا رد السلام على المسلمين، وهي التحية التي نسخت تحية الجاهلين، خلافا على أدب الله تعالى، وقوله جل جلاله: وإذا حييتم بتحية، فحيوا بأحسن منها أو ردوها، وقالوا بالاعتزال على العامة وشذوا... وكشفوا بتكررهم الذين يسمعون القول، فيتبعون أحسنه، فلجوا في جهالتهم، وتاهوا في غيهم، ونكسوا على رؤوسهم، حقدا على الأمة الحنيفة، واعتقادا لبغضتها، واستحلالا لدمايها، وزرعا إلى انتهاك حرمها، وسبي ذراريها، قد بدت البغضاء من أفواههم ما تخفي صدورهم أكبر، لولا أن سيف أمير المؤمنين من ورائهم، ونظره محيط. ولما صار غيهم فاشيا، وجهلهم شايعا، واتصل بأمير المؤمنين من ورائهم، ونظره محيط. ولما صار غيهم فاشيا، وجهلهم شايعا، واتصل بأمير المؤمنين من فتحهم في الديانة، وخروجهم عن الجادة، فأشغل نفسه، وأفض مضجعه، وأسهد ليله، أغلظ أمير المؤمنين في الأخذ فوق أيديهم، وأوعز إيعازا شديدا، وأنذر إنذارا فظيعا، وعهد عهدا مؤكدا شافيا كافيا، نظر به لوجهه تبارك اسمه، وقدم فيه بين يدي العقاب الشديد، وأمر بقراءة كتابه هذا على المنبر الأعظم بحضرته، ليفزع قلب الجاهل، ويفت كيد المستهتر الحائر، وينقض عزم العاند المعاجل، ويضطر الغواة إلى الإنابة الصحيحة، التي يتقبلها الله منهم، أو يكشف عن الأذهان سراريهم فيكون عليهم شهيدا، ويأتيهم عذاب غير مردود. ورأى أمير المؤمنين أن يشمل بنظره أقطار كوره، ويرسله في بدوه وحضره، وأن ينفذ عهوده إليك، وإلى سائر قواده، وجميع عماله بها، يقرأ على منابر المسلمين، ولا يحرم القاصي ما عم الداني من تطهير هذا الرجس وتمحيصه، وكفاية المسلمين شبهتهم

وفتنته، فلم يحل الديار، ولا تعاقب الآثار، ولا استحق البلا على قوم، ولا أهلك الله أمة من الأمم، إلا بمثل ما تكشف هذه الطغمة الخبيثة، من التبديل للسنة، والاعتداء في القرآن العظيم، وأحاديث الرسول الأمين، صلوات الله عليه وسلم، هذا عند وروده عليك في قبلك، وتشره في سماع رعيتك، وتتبع هذه الطائفة بجميع أعمالك، وابث فيهم عيونك، وطالب فيهم غورهم جهدك، فمن تحلى منهم بما انتسب إليهم، وقامت عليهم البينات بذلك عندك، فاكتب إلى أمير المؤمنين بأسمائهم ومواضعهم، وأسماء الشهود عليهم، ونصوص شهاداتهم، لتعهد باستجلابهم إلى باب سدته، لينكلوا بحضرتهم، فيذهب غيظ نفسه، ويشفي حنين صدره، وإياك أن تهون من أهل الريبة، وتتخطاهم إلى ذوي السلامة والأحوال الصالحة، فإن فرطت في أحد الأمرين أو كليهما. فقد برا الله منك، وأحلّ دمك ومالك، فاعلمه، واعتد به إن شاء الله تعالى».

عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس العصر الأول، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997/1417م، ج2، ص 708-710.

قائمة المصادر

و المراجع

أ- قائمة المصادر

1. ابن الآبار الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت658هـ/1260م)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: الدكتور عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، 1415هـ/1995م، ج1.
2. // // ، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ج1.
3. الإسفراييني أبي المظفر (ت481هـ/1088م)، التبصير في الدين و تمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، ط1، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ/1983م.
4. ابن أبي أصيبعة(ت686هـ/1270م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، د. ط، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت.
5. برهان الدين البقاعي (إبراهيم بن عمر بن حسن بن الرباط بن علي بن أبي بكر ت885هـ/1480م)، مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1400هـ/1980م.
6. // // ، مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، (د، ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1400هـ/1980م.
7. ابن بشكوال خلف بن عبد الملك بن مسعود(ت578هـ/1183م)، كتاب الصّلة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني، 1410هـ/1989م، مج1.
8. البغدادي أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد(ت429هـ/1037م)، الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، د. ط، المكتبة العصرية، بيروت، 1416هـ/1995م.

9. الجزري شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (ت833هـ/ 1429م)، غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره ج. برجستراسر، مكتبة الخانجي، ط1، 1352هـ/1933م، ج2.
10. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ/1111م)، المنقذ من الضلال، د. ط، دار الكتب الحديثة، مصر، د.ت.
11. ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري (ت456هـ1063م)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الجيل، بيروت، ج5.
12. // //، الفصل في الأهواء و الملل و النحل، ط1، المطبعة الأدبية، مصر، 1320هـ/1902م، ج2،ج4.
13. الحميدي أبي عبد الله محمد بن نصر (ت488هـ/1095م)، جذوة المقتبس، د. ط، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1966م،ج2.
14. // //، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د. ت، ج1.
15. الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم(ت القرن 9هـ/15م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: احسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.
16. ابن حيان أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي(468هـ/137م)، المقتبس، تحقيق شالميتا، مدريد، 1979 م/ 1433 هـ، ج5.
17. ابن خاقان أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي الإشبيلي (ت528هـ/1134م)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابكة، ط1، دار الرسالة، بيروت، 1403هـ/1983م، ج8.
18. الخشني محمد بن حارث (ت361هـ/981م)، أخبار الفقهاء و المحدثين، تحقيق: ماريا لويسا آبيلا و لويس مولينا، د. ط، المجلس الاعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1991م.

19. الخشني محمد بن حارث (ت361هـ/981م)، طبقات علماء إفريقية، د. ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د. ت.

20. ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ/1282م): وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، د. ط، دار صادر، بيروت، 1398هـ/1978م، ج4.

21. // //، سير أعلام النبلاء تحقيق: صالح السَّمر، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ/1996م، ج11.

22. // //، سير أعلام النبلاء، تحقيق: أكرم البوشي، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ/1969م، ج16.

23. // //، سير أعلام النبلاء تحقيق: ابراهيم الزيبق، ج15، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ/1996م، ج15.

24. الزهري أبو عبد الله محمد(ت القرن 6هـ/12م): كتاب الجغرافيا، د. ط، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت.

25. السيوطي الحافظ جلال الدين عبد الرحمن(ت911هـ/1505م)، بُغية الوُعاة في طبقات اللغويين و النّحاة، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه، مصر، 1384هـ/1965م، ج1، ج2.

26. الشهرستاني محمد بن عبد الكريم أبو الفتح (ت 548 هـ/1153م)، الملل و النحل، تحقيق: أحمد فهمي محمد، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1992م.

27. صاعد الأندلسي(ت462هـ/1069م)، طبقات الأمم، نشره و ذيله: الاب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1913م.

28. الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك(764هـ/1362م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط – تركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ/2000م، ج4.

29. ابن طفيل(ت581هـ/1185م)، حي بن يقظان، تحقيق و تعليق: أحمد أمين، د. ط، دار المعارف، مصر، 1950م.

30. ابن فرحون، ابراهيم بن نورالدين(ت799هـ/1396م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1996م.

31. ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد (ت403هـ/1012م)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: ابراهيم الأبياري، ط 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ-1989م، ج2

32. القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي(544هـ/1149م)، ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، د. ط، مطبعة فضالة، المغرب، 1402هـ/1982م، ج3.

33. // //، ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: سيد أحمد أعراب، ط2، مطابع الشويخ، المغرب، 1402هـ/1982م، ج7.

34. القرافي بدر الدين محمد بن يحي بن عمر(ت1008هـ/1599م)، تحقيق: الدكتور علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1425هـ/2004م.

35. الكتاني، أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الحسين المذحجي القرطبي (ت 420هـ/1030م)، كتاب التشبيهات من أشعار الأندلس، تحقيق: احسان عباس، ط2، دار الشروق، 1401هـ/1981م.

36. ماريا لويسا آبيلا و لويس مولينا، د. ط، المجلس الاعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1991م.

37. مجهول: أخبار مجموعة، تحقيق: ابراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1410هـ/1989م.

38. محي الدين بن عربي (محمد بن علي بن محمد بن العربي أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي ت 638هـ/ 1240م)، الفتوحات المكية، تحقيق: عثمان يحي، د. ط، دار الكتب العربية الكبرى، مصر، 1405هـ/1985م.

39. المراكشي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي (ت703هـ/1303م)، الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة، تحقيق: إحسان عباس– الدكتور محمد بن شريفة– الدكتور بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2012م، ج3.

40. المقدسي البشاري محمد بن أحمد(ت 380هـ/990م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ/1991م.

41. المقري أحمد بن محمد التلمساني (1041هـ/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408 هـ/1918م، مج2.

42. النُباهي أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي(ت792هـ/1390م)، تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ/ 1983م.

43. ابن نقطة أبي بكر محمد بن عبد الغني (ت639هـ/1231م)، كتاب التقييد لمعرفة الرواة و السنن و المسانيد، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1403هـ/1983م، ج1.

44. الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي (ت 914هـ/1508م)، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية و الأندلس و المغرب، خرجه مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، د. ط، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م.

ب- قائمة المراجع:

1. أحمد أمين: فجر الإسلام، ط 10، دار الكتاب العربي، بيروت، 1969م.
2. أنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تحقيق: حسين مؤنس، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ت.
3. برهان الدين البقاعي، مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1400هـ/1980م.
4. الجابري محمد عابد: نحن والتراث، ط6، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1983م.
5. حسن ابراهيم حسن و طه أحمد شرف، عبيد الله المهدي امام الشيعة الاسماعيلية و مؤسس الدولة الفاطمية، د. ط، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1366هـ/1947م.
6. حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422هـ/755-1030م)، ط1، مطبعة الحسين الاسلامية، مصر، 1414هـ/1994م.
7. طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عُبيدة، الحضارة الاسلامية دراسة في تاريخ العلوم الاسلامية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2004م، ج2.
8. عبدالعزيز الدوري: العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، منشورات دار المعلمين العالمية، بغداد، 1945م.
9. علي حمودة: تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1376هـ/1957م.
10. الفيومي محمد ابراهيم: تاريخ الفلسفة الاسلامية في المغرب والأندلس، ط1، دار الجيل، بيروت، 1417هـ/1997م.
11. الفيومي محمد ابراهيم، ابن باجة و فلسفة الاغتراب، د. ط، دار الجيل، بيروت، 1988.

12. كامل محمد محمد عويضة: ابن مسرة، دار الكتاب العلمية، ط1، بيروت، 1411هـ/1993م.

13. ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة: طاهر مكي، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1399هـ/1979م.

14. محمد أحمد الخطيب: الفرق الإسلامية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، ط1، 1996 م.

15. محمد العدلوني الإدريسي: المرحلة الابتدائية في تكوّن التصوف الفلسفي بالغرب الإسلامي "ابن مسرّة و مدرسته"، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1421هـ/2000م.

16. محمد بركات البيلي: الزهاد و المتصوفة في بلاد المغرب و الأندلس حتى القرن الخامس الهجري، د. ط، دار النهضة العربية، القاهرة، 1993م.

17. محمد عبد الله عنان، دولة الاسلام في الأندلس، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ/1997م، ج2.

18. مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب، د. ط، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1411 هـ/ 1991 م، ص 393-397.

المراجع الاجنبية:

James W. Mourris, Ibn Masarra: A reconsideration of the Primary Sources, Arabic 244, Dr. Muhsin Mahdi, 1973.

المذكرات:

1- فاطمة الزهراء جدو، السلطة و المتصوفة في الأندلس عهد المرابطين و الموحدين، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، 1428-1429هـ/2007-2008م.

بحوث:

- محمد أحمد عبد المطلب عزب، موقف العلماء من ظاهرة التصوف الفلسفي (ابن مسرة الجبلي أنموذج)، جامعة المدينة العالمية.

المجلات:

يوسف بني ياسين، مجلة جامعة مؤتة للبحوث و الدراسات، مجلد 21، عدد6، 1427هـ/2006م.

الموسوعات:

مجموعة من المؤلفين ،موسوعة أعلام المغرب، تحقيق محمد حجي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1417هـ/1996م.

الفهارس

01- فهرس الأعلام

- أ -

ابن الآبار: 50.

أبان بن عثمان بن سعيد المبشر: 44.

إبراهيم ابن مسرة: 14.

آثين بلاثيوس: 07، 11، 25، 28، 31.

أحمد بن خالد الحباب: 17، 40، 48.

أحمد بن غانم: 50.

أحمد بن فرج بن منتيل بن قيس: 23، 34.

أحمد بن محمّد بن زياد الأعرابي

أحمد بن محمد بن سالم التستري: 18.

أحمد بن وليد بن عبد الحميد بن عوسجه الأنصاري: 44.

أرسطو: 26.

إسماعيل بن عبد الله الرعيني: 35، 37، 39، 45.

الأصفهاني: 09.

ابن أبي أصيبعة: 31.

أضحى بن سعيد: 35.

أفلوطين: 30.

ابن الإفليلي: 46.

أمباذوقليس: 13، 28، 29، 30.

أنخيل بالنثيا: 30.

أيوب بن فتح: 34.

- ب -

ابن برجان عبد السلام بن عبد الرحمن الاشبيلي: 36، 37، 39.

ابن أبي بردة البغدادي: 07، 12.

ابن بشكوال: 50.

أبي بكر اللؤلؤي: 20.

أبو بكر الميورقي: 36.

أبو بكر محمَّد بن الحسن الزبيدي الإشبيلي النحوي: 09، 45، 50.

- ت -

ابن تيمية: 30، 37.

- ج -

الجاحظ: 07، 11.

ابن جبرول: 47.

ابن الجوزي: 37.

جولد زيهر: 30.

- ح -

ابن حزم: 28، 35، 46، 54.

أبو الحسن الطليطلي النحوي: 50.

حسن إبراهيم حسن: 26.

الحكم الأول: 08، 09.

الحكم المستنصر: 44، 45.

الحميدي: 29، 54.

الحلاج: 37.
حي بن عبد الملك: 23.
ابن حيان: 14، 17، 22.
– خ –
ابن خاقان: 18.
الخشني محمد بن الحارث: 15، 21، 22، 51.
ابن الخطيب:
خليل العذري: 15.
خليل الغفلة: 21.
خليل المعتزلي: 28، 34.
الخليل بن أحمد الفراهيدي: 09.
خليل بن عبد الملك القرطبي: 23.
– ذ –
الذهبي: 49.
ذي النون الإخميمي: 27، 51.
ذي النون المصري: 18.
– ر –
رشيد بن محمد بن فتح الدجاج: 44.
ابن الرماحس: 09.
– ز –
زياد بن عبد الرحمن: 10.
– س –
ابن سبعين: 38، 39.
أبي سعيد الإسكافي: 51.
سعيد بن ابي هند يحي بن يحي الليثي: 10، 46.
أبي سعيد بن الأعرابي: 17، 18.
سعيد بن فتحون السرقسطي: 46.
القاضي ابن السليم: 49.
السيوطي: 50.
– ش –
الشهرستاني: 28، 29، 54.
– ص –
ابن صفوان: 25.
ابن صيقل محمد بن وهب القرطبي: 17.
صاعد الأندلسي: 28، 54.
– ط –
ابن طفيل: 53.
أبي الطيب محمد بن أحمد بن إبراهيم بن
أبي بردة الشافعي البغدادي: 07.
– ع –
أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن العريف: *****
عباس بن فرناس: 09.
عباس بن ناصح: 08.
الأمير عبد الرحمان الثاني: 09، 10.
الأمير عبد الرحمن الثالث: 22.
عبد الرحمن المهندس: 45، 46.

عبد الرحمن الناصر لدين الله: 10، 16، 24، 40، 41، 42، 43.
عبد الرحمان بن عبد الله الزجالي: 42، 48.
عبد الرحمن بن مروان الجليقي:
عبد العزيز بن حكم بن أحمد بن الإمام
محمد بن عبد الرحمن بن الحكم: 44.
عبد الله بن بدر: 41، 42.
عبد الله بن محمد الأول بن عبد الرحمن
الثاني: 21.
عبد الله بن محمَّد بن نزار، 50.
عبد الله بن محمَّد بن نصر بن أبيض
أبو الحسن الطليطلي النّحوي: 50.
أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي:
50.
عبد الوهاب بن منذر
عبيد الله المهدي: 26.
ابن عربي الحاتمي: 31، 38، 39.
أبو العباس ابن العريف: 36، 47.
أبو علي القالي العربي: 09.
أبو عمر بن لب الطلمنكي: 45، 50.
عمر بن حفصون: 21.
عمر بن طرفان: 08.
عون بن يوسف: 50.
القاضي عياض: 49، 50.
عيسى بن دينار: 10.

– غ–
الامام الغزالي: 29.
– ف –
أبي الفرج الأصفهاني: 09.
فرج بن سلام: 07، 11.
ابن فرحون: 43.
ابن الفرضي: 12، 27، 28، 35، 52.
– ق –
ابن قسي: 37، 39.
القفطي: 28، 54.
ابن القاسم: 49.
–ك–
الكتاني: 20.
–ل–
ليفي بروفنسال: 30.
–م–
مارية القبطية: 16.
الامام مالك: 10.
محمَّد بن أحمد بن حمدون بن عيسى
الخولاني القرطبي: 34، 44.
محمد بن حزم بن بكر التنوخي: 16، 17.
محمد بن سليمان العكي المعروف بابن
المورووري: 23.
الأمير محمد بن عبد الرحمن: 14.

محمد بن عبد السلام الخشني: 14، 15.
الأمير محمد بن عبد الله: 40.
محمد بن عبد الله بن عمر بن خير القيسي: 44.
محمد بن عبد الله بن مسرة: 07، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54.
محمد بن عبد الرحمان: 10.
محمد بن عيسى الألبيري: 47.
محمد بن فرج المعافري: 44.
محمد بن يبقى بن زرب القاضي: 45، 48، 49.
محمود مكي: 26.
محيي الدين بن عربي: 47.
المتكلمة: 46.
المستنصر: 07.
المقري: 53.
المقدسي: 07، 54.
منذر ابن سعيد البلوطي: 35، 46.
المنصور ابن أبي عامر: 45.
ميمون بن ديصان القداح: 31.

- ن -

النُباهي: 48.
نصر بن علي الجهضمي: 14.

-هـ-

هشام بن الحكم: 25.

- و -

بن وضاح: 11، 15، 21، 22.

- ي-

أبي يعقوب النهرجوري: 18، 27.
يمن بن رزق: 11.

02- فهرس الأماكن

-أ-

إشبيلية:

افريقيا: 11.

ألمرية: 33.

الأندلس: 07، 08، 09، 10، 11،

12، 13، 15، 19، 21، 23، 24،

25، 26، 30، 34، 36، 39، 40،

47، 48، 49، 51، 52، 53،

54.34، 36، 39،

- ب-

البصرة: 15.

بغداد: 08.

-ج-

جيان: 33.

- ز-

الزهراء: 41.

-س-

سوسة: 11.

-ع-

العراق: 09، 10، 25، 32.

- ف-

فاس: 14.

- ق-

قرطبة: 07، 08، 09، 10، 11،

12، 17، 22، 31، 32، 33، 41،

42، 43، 45، 46، 50.

القيروان: 17، 25.

- م-

المدينة المنورة: 16. 17.

مراكش: 37.

مصر: 08، 17.

مكة: 17.

المونستير: 11.

فهرس المحتوى:

مقدمة: ..... أ – و

مدخل: 7

الفصل الأول: الحياة الزمانية و الفكرية لابن مسرة و ظهور مذهبه الصوفي و الآراء الكلامية الأولى التي تأثر بها

أولا: حياة ابن مسرّة الزمانية والفكرية: 14

1/ حياته الزمانية: 14

2/ حياته العلمية: 15

3/ مؤلفاته: 18

أ/ كتاب التبصرة (رسالة الاعتبار): 18

ب/ كتاب الحروف (رسالة خواص الحروف وحقائقها وأصولها):..... 19

جـ/ شعر ابن مسرة: 20

ثانيا: ظهور مذهب ابن مسرة والآراء الكلامية الأولى التي تأثر بها:..... 21

1/ ظهور مذهب ابن مسرة:..... 21

2/ الآراء الكلامية التي تأثر بها في بداياته: 24

الفصل الثاني: أهم الروافد الفكرية التي وجهت مذهب ابن مسرة ومدرسته وأثر مذهبه

أولا: الروافد التي كونت فكر ابن مسرة: 27

1/ الرافد الصوفي: 27

2/ الرافد الاعتزالي: 28

3/ الرافد الفلسفي(الأمباذوقلية): 28

ثانيا: مدرسة ابن مسرة: 33

1/ مدرسة ابن مسرة: 33

أ/ تلاميذه المباشرين: 34

ب/ أتباعه: 35

2/ أثر مذهب ابن مسرة في متصوفة الفلاسفة من بعده: 38

الفصل الثالث: موقف النخبة الأندلسية من حركة المسرية و أثرها على حركة العلوم الفلسفية في الأندلس

أولا : موقف الخلفاء الأمويين من حركة ابن مسرة: 40

1 موقف الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله: 40

2 موقف الخليفة الحكم المستنصر: 44

3 موقف المنصور بن أبي عامر:..... 45

ثانيا: رد الفقهاء المالكية على حركة ابن مسرة: 48

1/ رد ابن زرب على ابن مسرة وأتباعه: 49

2/ رد أهل العلم من المشارقة: 51

3/أثر فكر ابن مسرة على حركة العلوم الفلسفية في الأندلس:..... 52

خاتمة: 55

الملاحق:..... 58

قائمة المصادر والمراجع:..... 68

الفهارس

أ- فهرس الأعلام:..... 76

ب- فهرس الأماكن:..... 80

ج- فهرس الملاحق:..... 81

فهرس المحتوى: 82

تم بحمد الله